مكتبة المرحوم الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العامة
الدوحة - قطر

ثلاث رسائل

تأليف

العلّامة الشيخ محمّد بن عبد العزيز المانع

وهي

إرشاد الطلّاب - اقامة الدليل والبرهان - الأجوبة الحميدة

١٠٨
م

مكتبة
المرحوم الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني
العامة
الرقم العام ١٢٤٦٩
رقم التصنيف ٢١٨
تاريخ الورود
٢٤٩ ث

الطبعة الثانية

١٣٨٣ هـ

على نفقة

صاحب السمو العالم الجليل الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حفظه الله

منشورات المكتب الاسلامي بدمشق

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
مكتبة المرحوم الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العامة
الرقم المتسلسل : ١٤٣٢٧
تاريخ التسجيل : ١٩/٤/١٩٩٥م
رقم التسجيلة : ٢٧٨٨
رقم التصنيف : ٢٩٠٤٥٨٠١٤٠٥٠٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
14327
مكتبة الشيخ علي ال ثاني العامه

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
لصاحبه
محمد زهير الشاويش

دمشق : الملبوني ص.ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقياً اسلامي
بيروت : ص.ب ٢٠٣٢ هاتف ٢٢٧٠٥٤

مُقدّمَة الطبعَة الثانية

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فهذه ثلاث رسائل مختصرة مفيدة من تأليف الأستاذ الجليل والعالم النحرير ، فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع المستشار الديني لسمو حاكم قطر — كانت قد نشرت قبل سبعةٍ وأربعين عاماً — ثم نفد جميع ما طبع منها .

ونظراً لما تحتوي عليه من فوائد جليلة ، فقد أمر حضرة صاحب السمو ناشر العلم ، وباذل الخير ، حاكم قطر السابق :

صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله

باعادة طبعها مجموعة بشكل متقن ، وتوزيعها مجاناً ابتغاء وجه الله تعالى ، فجزاه الله خير الجزاء .

ونسأل الله سبحانه أن ينفع بها ، وأن يعظم الأجر لكل من نوى الخير أو عمل به .. وهو ولي التوفيق .

مدير دار الكتب القطرية

عبد البديع السيد صقر

إرشاد الطلاب
إلى
فضيلة العلم والعمل والآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدر من أراد هدايته للاسلام ؛ ونوَّر بنور العلم والمعرفة بصائر ذوي العقول والأفهام .

والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى دار السلام ، وعلى آله وأصحابه السادة الكرام النجوم الأعلام .

أما بعد : فلما كان العلم مفتاح الخيرات ، وباب السعادات ، وشرطاً غالباً للقرب والطاعات ، إذ هو الحامل على شريف الخصال ، والموجب لمحبة ذي العظمة والجلال ، والمنقذ من ظلمات الجهل والضلال ، أحببت أن أجمع كتاباً في فضيلة العلم والعمل ، وكيفية نشره والدعوة إلى الله ، سائلاً منه تعالى أن يحفظني من الخطل والزلل ، ولعله أن يكون باعثاً لذوي الهمم على تطلب الآداب والحكم . وسميته :

« إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب »

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وسبباً موصلاً الى مرضاته ، والفوز بجنات النعيم .

فصل

في النية وانه يجب على كل عامل بر اخلاصه لله

قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »[1] فأخبر صلى الله عليه وسلم أن العمل متعلق بالنية ، فمن حسنت نيته وعمل صالحاً ، حصد يوم القيامة الكرامة ، ومن عمل ضد ذلك ، حصد الندامة ، فمن طلب العلم لوجه الله تعالى ، نفعه الله بعلمه ، ونفع به غيره من المسلمين . ومن طلبه للرياء ، والسمعة ، ونيل الحطام ، دخل تحت الحديث الذي رواه الترمذي عن كعب بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو يجاري به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس اليه ، أدخله الله النار »[2] وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من هذا العلم الضار الذي لم ينتفع به صاحبه ، لكونه غير خالص لوجه الله ، كما في

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي في كتاب العلم عن كعب بن مالك عن أبيه يرفعه ، وقال: غريب. ورواه ابن ماجه عن ابن عمر .

« صحيح مسلم » عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول . « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » وروى أبو داود عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تعلم علماً مما يُبتغى به وجهُ الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة »[1] يعني ريحها . وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب » يقول عز وجل : أبي تغترون ؟! أم عليَّ تجترؤون !؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيران » وقال ابن المبارك : ما شيء أفضل من طلب العلم لله ، وما شيء أبغض الى الله من طلب العلم لغير الله .

---

(١) ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه ، وهو حديث صحيح .

قال العلامة السفاريني في « غذاء الألباب » عند قول الامام ابن عبد القوي .

فعندي من علم الحديث أمانة سأبذلها جهدي فأهدي وأهتدي

واعلم أن لزكاة العلم ونحوه طريقين :

أحدهما : تعليمه للعالم ، فان الله سبحانه وتعالى ينمي علمه بذلك ، ويزكيه .

والثاني : العمل به ، فان العمل به أيضاً ينميه ويكثره ، ويفتح لصاحبه أبوابه وخباياه .

ثم قال رحمه الله تعالى : واعلم أن الأمانة تضمن بالتعدي ، أو التفريط ، والتعدي في العلم يشمل كتمانه عمن يستحقه فيلجمه الله بلجام من نار ، ويشمل اتخاذه سلّماً يتوصل به إلى تناول الدنيا ، وشبكة يصطاد بها حطامها ، ويشمل عدم الاخلاص فيه .

وقال العلامة القسطلاني في شرحه للبخاري عند الكلام على أول حديث منه ، وهو حديث عمر رضي الله تعالى عنه : من أراد الغنيمة صحح العزيمة ، ومن أراد المواهب السنية أخلص

النية ، ومن أخلص الهجرة ضاعف الإخلاص أجره ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، إنما تنال الطالب على قدر همة الطالب ، وإنما تدرك المقاصد على قدر عناء القاصد ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم .

* * *

فصل

في الحض على التعلم في الصغر

روى الإمام ابن عبد البر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « أيما ناشىء نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك ، كتب له أجر سبعين صدّيقاً » .

وقال الحسن : طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وأنشد أبو عبيد الله نفطويه لنفسه رحمه الله :

أَراني أنسى ما تعلَّمتُ في الكبر ... ولستُ بناسٍ ما تعلَّمتُ في الصغر

وما العلم إلا بالتعلم في الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر

ولو فلق القلب المعلم في الصبا ... لألفي فيه العلم كالنقش في الحجر

وما العلم بعد الشيب إلا تعسف ... إذا كلَّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق ... فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

قال العلماء : أفضل أوقات التحصيل ، شرخ الشباب ، ووقت السحر ، وما بين العشاءين . وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته ، فاذا مل من علم اشتغل بعلم آخر .

ولبعض الفضلاء :

بادر إلى طلب العلم الشريف وإن
ضاقت ولم تصف أقوات وأوقات
ولا تؤخر لصفو أو رجا سعة فهم يقولون للتأخير آفات

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا .

قلت : لقد نصح أمير المؤمنين غاية النصح ، فان كثيراً ممن يلي الوظائف وهو غير أهل لها ، يكون ضُحْكة وهُزْءة للخلق بسبب الجهل بما أنيطت به عهدته . وفي هذا المعنى جاء الحديث ، وهو قوله ﷺ « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يُقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »[1]

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

فصل

في الحث على حفظ العلم وبيان أسبابه

لا شك عند العقلاء أن العلم لا ينال إلا بالحفظ . ولكن الحفظ له أسباب ، أعظمها تقوى الله ، وحسن النية ، وإدامة النظر ، والترفع عن مجالسة السفهاء والبطالين . ويرحم الله القائل :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

وسئل الامام محمد بن اسماعيل البخاري عن دواء الحفظ ، فقال : لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ، ومداومة النظر .

وقال بعض الفضلاء في أم ولد له :

سلام على من تيمتني بظرفها ولمعة خديها ولمحة طرفها

سبتني وأصبتني فتاة مليحةٌ تحيرت الأوهام في كنه وصفها

فقلت ذريني واعذريني فانني شغفت بتحصيل العلوم وكشفها

ولي في طلاب العلم والفضل والتقى

غنىً عن غناء الغانيات وعرفها

ولم يزل العلماء الأعلام يحضون على الحفظ والتفهم لما يحفظ، لعلمهم رحمهم الله تعالى بما في ذلك من الفوائد، حتى قال بعضهم وهو الخليل بن أحمد شيخ سيبويه.

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر

وقال بعض الأئمة الأعلام من علماء الأندلس، كما في «نفح الطيب».

تكتب العلم وتلقي في سفط ثم لا تحفظ لاتفلح قط
إنما يفلح من يحفظه بعد فهم وتوق من غلط

وقال رحمه الله:

العلم في القلب ليس في الكتب
فلا تكن مغرماً باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به
فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

وقال أعرابي: حرف في تامورك خير من عشر في كتبك.

والتامور: علقة القلب.

وسمع يونس بن حبيب رجلاً ينشد :

استودع العلم قرطاساً فضيَّعه وبئس مستودعُ العلم القراطيس

فقال يونس : قاتله الله ما أشد صيانته للعلم ، وصيانته للحفظ ، إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك

★ ★ ★

فصل

في ذكر حكاية الزهري مع الخليفة عبد الملك بن مروان

قال في « فتح المجيد » : قال في « تهذيب الكمال » عن الوليد الموقّري عن الزهري قال : قدمت على عبد الملك بن مروان ، فقال : من أين قدمت يازهري ؟ قال : قدمت من مكة . قال : ومن خلفت يسودها ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح . قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : فبم سادهم ؟ قال : قلت : بالديانة والرواية. قال : إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاووس بن كيسان . قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي . قال : فبم سادهم ؟ قلت : بما ساد به عطاء . قال : إنه لينبغي ذلك . قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب . قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل الشام؟ قلت : مكحول . قال : فمن العرب، أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟

قلت : ميمون بن مهران . قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قال : قلت : الضحاك بن مزاحم . قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قال : قلت : الحسن البصري . قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : ويلك ، ومن يسود أهل الكوفة ؟ قال : قلت : ابراهيم النخعي . قال : فمن العرب ، أم الموالي ؟ قال : قلت : من العرب . قال : ويلك يازهري ، فرّجت عني ، والله لتسودن الموالي على العرب في هـذا البلد ، حتى يخطب لهـا على المنابر والعرب تحتها . قال : قلت : ياأمير المؤمنين ، إنما هو دين ، من حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط .

فتأمل هذه القصة العجيبة ، وانظر كيف رفع حفظ العلم ودرايته أولئك السادات حتى ارتفع مقدارهم على من هو أرفع منهم نسباً ، فلعلك أن تجدّ وتجهد في حفظ العلم الذي هو سبب السعادة في الدنيا والآخرة لمن عمل به .

وقال الامام أبو محمد بن حزم لما حصل بينه وبين بعض ملوك الاندلس وحشة اقتضت إحراق بعض كتبه :

دعوني من إحراق رق وكاغد

وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي

تضمّنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي

وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

وقد كان علم أوائل السلف بالصدور ، لا بالسطور ، ولهذا اختلفوا في جواز كتابة الحديث ، والأصح جوازه لقوله عليه الصلاة والسلام « اكتبوا لأبي شاه » (١) .

---

(١) هو بشين معجمه وهاء منونة كما في « الفتح » يعني رجلاً من اهل اليمن، والحديث رواه البخاري مطولا في باب كتابة العلم من « صحيحه » ورواه مسلم في الحج .

فصل

في ذكر اول من صنف من علماء الاسلام

قال الامام السيوطي في « التدريب » أما ابتداء تدوين الحديث ، فانه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره ، ففي « صحيح البخاري » في أبواب العلم : وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم ، انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء .

قال الحافظ في « فتح الباري » : يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي ، فأفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز الامام ابن شهاب الزهري ، ثم دونت السنن ممزوجة بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ، وفتاوى التابعين ، وأول من جمع ذلك ابن جريج بمكة ، وابن اسحاق ، ومالك بالمدينة ، والربيع ابن صبيح ، وسعيد بن أبي عروبة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثوري بالكوفة ، والأوزاعي بالشام ، وهشيم بواسط ،

ومعمر باليمن ؛ وجرير بن عبد الحميد بالري ، وابن المبارك بخراسان ، وكان هؤلاء في عصر واحد ، فلا يدرى أيهم أسبق . وهؤلاء كانوا في أثناء المائة الثانية . ثم تلا المذكورين كثير من أهل عصرهم . انتهى .

فظهر أن أول من صنف في الحديث هو الامام ابن شهاب الزهري . وقد صرح بذلك الامام أبو عمر بن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » .

وقال الحافظ الذهبي في « تذكرة الحفاظ » في ترجمة ابن جريج ، قال أحمد بن حنبل : كان - يعني ابن جريج - من أوعية العلم ، وهو وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب . انتهى .

قلت : فيظهر من تحقيق الحافظ ، أن المراد به الكتب الممزوجة بأقوال الصحابة والتابعين ، لا مطلقاً . وللامام شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله في الرسالة التي كتبها في مذهب أهل المدينة كلام نفيس جدير بالذكر .

قال رضي الله عنه : وأما « الموطأ » ونحوه ، فانه صنف على طريقة العلماء المصنفين إذ ذاك ، فان الناس على عهد رسول الله ﷺ كانوا يكتبون القرآن ، وكان النبي ﷺ قد نهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن . قال عليه الصلاة والسلام « من كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه » [1] ثم نسخ ذلك عند جمهور العلماء حيث أذن في الكتابة لعبد الله بن عمرو ، وقال « اكتبوا لأبي شاه » وكتب لعمرو بن حزم كتاباً ، قالوا : وكان النهي أولاً خوفاً من اشتباه القرآن بغيره ، ثم أذن لما أمن ذلك ، فكان الناس يكتبون من حديث رسول الله ﷺ ما يكتبون ، وكتبوا أيضاً غيره ، ولم يكونوا يصنفون ذلك في كتب مصنفة إلى زمن تابعي التابعين ، فصنف العلم ، فأول من صنف ابن جريج شيئاً في التفسير ، وصنف سعيد بن أبي عروبة ، وحماد بن سلمة ، ومعمر ، وأمثال هؤلاء يصنفون ما في الباب عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وهذه هي كانت كتب الفقه ، والعلم ، والأصول ، والفروع ، بعد

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه رقم (٣٠٠٤)

القرآن ، فصنف مالك « الموطأ » على هـذه الطريقة . وصنف بعـده عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن وهب ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بـن مهدي ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وغير هؤلاء . انتهى .

فما نقلناه عـن هؤلاء الأئمة يتبين أن أول من صنف في الحديث مجرداً ، الزهري .

وأول من جمع الحديث ممزوجاً بكلام الصحابة والتابعـين ابن جريج .

تنبيه : قال في « تذكرة الحفاظ » توفي - يعني الزهري - في رمضان سنه ١٢٤ هـ أربع وعشرين ومائة ، وقال في ترجمة ابن جريج. قال الواقدي : مات ابن جريج في أول ذي الحجة سنة ١٥٠ هـ خمسـين ومائة . وأما أبو بكر بن حزم الذي كتب إليه عمر ابن عبـد العزيز ، فهو أبو بكر بن محمـد بن عمرو بن حزم ، بفتح المهملة ، وسكون الزاي ، الأنصاري المـدني ، المتوفى سنة ١٠٢ هـ اثنتين ومائة ، في خلافة هشام بن عبد الملك ، وهو

ابن أربع وثمانين سنة . ولجده عمرو صحبة ، ولأبيه محمد رؤية ، وكان نائب عمر بن عبد العزيز في الإمرة والقضاء على المدينة ، كما في « القسطلاني » قال : ونسبه المؤلف ـ يعني البخاري ـ إلى جد أبيه ، لشهرته به . قلت : فعلى هذا يكون الزهري إنما جمع الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز بواسطة نائبه أبي بكر ابن حزم ، والله أعلم .

تتمة : أبو بكر المذكور ليس هو أبا بكر الذي هو أحد الفقهاء السبعة الذين ذكرهم الناظم بقوله :

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجه
فقل هم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فان هذا أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي .

قال ابن خلكان : أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وكنيته اسمه ، قال : وكان من سادات التابعين ، وكان يسمى : راهب قريش ، وأبوه الحارث ـ أخو أبي جهل بن هشام ـ من جملة الصحابة رضي

الله تعالى عنهم ، ومولده في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتوفي سنة ٩٤ هـ أربع وتسعين للهجرة ، رحمه الله . وهذه السنة تسمى : سنة الفقهاء ، وإنما سميت بذلك ، لأنه مات فيها جماعة منهم ، وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد ، وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا .

★ ★ ★

فصل

في الحث على تقييد العلم بالكتابة

روى الإمام أبو عمر بن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ ، فذكر الخطبة خطبة النبي ﷺ ، قال : فقام رجل من اليمن ، يقال له : أبو شاه ، فقال : يارسول الله اكتبوا لي ، فقال رسول الله ﷺ « اكتبوا لأبي شاه » يعني الخطبة .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « قيدوا العلم بالكتابة »[1] .

وعن سوادة بن حيان قال : سمعت معاوية بن قرة يقول : من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً .

وعن الأعمش قال : قال الحسن : إن لنا كتباً نتعاهدها .

وقال الخليل بن أحمد : اجعل ما تكتب بيت مال ، وما في صدرك للنفقة .

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «النوادر » وسمويه، كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وعن سليمان بن موسى قال : يجلس إلى العالم ثلاثة : رجل يأخذ كل ما سمع ، فذلك حاطب ليل ، ورجل لا يكتب ، ويسمع ، فذلك يقال له : جليس العالم ، ورجل ينتقي وهو خيرهم ، وهذا هو العالم .

وذكر المبرد قال : قال الخليل بن أحمد : ما سمعت شيئاً إلا كتبته ، ولا كتبته إلا حفظته ، ولا حفظته إلا نفعني .

قلت : لقد نصح نفسه هذا الإمام ، وأفاد من اقتدى به ، فان حفظ ما كتب نفعه ، وإلا صارت حاله كحال القائل :

أما لو أعي كل ما أسمع ... وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت ... لقيل أنا العالم المقنع
ولكن نفسي إلى كلِّ فنٍّ ... من العلم تسمعه تنزعُ
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ... ولا أنا من جمعه أشبع
وأقعد للجهل في مجلس ... وعلمي في الكتب مستودع
ومن يك في علمه هكذا ... يكن دهرَه القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعُك للكتب لا ينْفَعُ

فصل

في فضيلة العلم وبيان فضله

قال الله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) . آل عمران: ١٨

قال الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى : استشهد سبحانه وتعالى بأولي العلم على أجلِّ مشهود عليه ، وهو توحيده ، فقال سبحانه وتعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم قائماً بالقسط) آل عمران : ١٨ وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه .

أحدها : استشهادهم دون غيرهم من البشر . والثاني : اقتران شهادتهم بشهادته . الثالث : اقترانها بشهادة الملائكة ، والرابع : أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم ، فان الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول ، ومنه الأثر المعروف عن النبي ﷺ « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون

عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »[1]، الخامس : أنه وصفهم بكونهم أولي العلم ، وهذا يدل على اختصاصهم به ، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم ، السادس : أنه سبحانه استشهد بنفسه ، وهو أجلُّ شاهد ، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة والعلماء من عباده ، ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً . السابع : أنه استشهد بهم على أجلِّ مشهود به وأعظمه وأكبره ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم . الثامن : أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ، فهم بمنزلة أدلته وآياته ، وبراهينه الدالة على توحيده ، وقد أطال رحمه الله بذكر الأوجه الدالة على فضيلة العلم مستنبطاً لها من هذه الآية العظيمة ... إلى أن قال رحمه الله : وقال المزني : روي عن ابن عباس أنه قال : إن الشياطين قالوا لإبليس : يا سيدنا مالنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد ، والعالم لا نصيب منه ،

---

(١) رواه غير واحد، وهو حديث حسن بمجموع طرقه ، انظر « التقييد والايضاح » للعراقي ، و « شرح الألفية » للسخاوي .

والعابد نصيب منه ؟ ! قال : انطلقوا ، فانطلقوا إلى عابد ، فأتوه في عبادته ، فقالوا : إنا نريد أن نسألك ، فانصرف ، فقال إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ، فقال : لا أدري ، فقال : أترونه كفر في ساعة . ثم جاؤوا إلى عالم في حلقته يضحك أصحابه ويحدثهم ، فقالوا : إنا نريد أن نسألك ، فقال : سل ، فقال : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟ قال : نعم . قالوا : كيف ؟ قال : يقول : كن فيكون . فقال : أترون ذلك لا يعدو نفسه ، وهذا يفسد عليَّ عالماً كثيراً . وقد رويت هذه الحكاية على وجه آخر ، وأنهم سألوا العابد ، فقالوا : هل يقدر ربك أن يخلق مثل نفسه ؟ فقال : لا أدري ، فقال : أترونه لم تنفعه عبادته مع جهله ؟ وسألوا العالم عن ذلك ، فقال : هذه المسألة محال ، لأنه لو كان مثله ، لم يكن مخلوقاً ، فكونه مخلوقاً ، وهو مثل نفسه مستحيل ، فاذا كان مخلوقاً ، لم يكن مثله ، بل كان عبداً من عبيده ، وخلقاً من خلقه . فقال : أترون هذا يهدم في ساعة ما أبنيه في سنين ؟ ! أو كما قال .

وروى ابن عبد البر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « قليل من العلم خير من كثير العبادة ، وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أُعجب برأيه ، إنما الناس رجلان ؛ عالم ، وجاهل ، فلا تمار العالم ، ولا تحاور الجاهل » .(١)

وروي أيضاً عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه » (٢) .

وعن قتادة أنه قال : باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه ، وصلاح من بعده ، أفضل من عبادة حول . وقال أيضاً : تذاكر العلم بعض ليلة أحبُّ إليَّ من إحيائها . وكان

---

(١) رواه الطبراني والعسكرى عن ابن عمرو ، قال المنذري: واسحاق بن أسيد : فيه توثيق لين ، ورفع هذا الحديث غريب ، قال البيهقي: ورويناه صحيحاً من قول مطرف بن عبد الله بن الشخير .

(٢) رواه ابو الشيخ والديلمي . قال الحافظ العراقي : وسنده ضعيف . وروى الامام احمد، والبخاري في «الأدب المفرد» والطبراني، عن محجن بن الأدرع والطبراني في « الاوسط » وابن عدي ، والضياء المقدسي عن انس مرفوعاً « خير دينكم أيسره » قال العراقي : سنده جيد .

سفيان الثوري يقول : ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحّت النية . وقال الامام الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة . وقال ابن وهب : كنت عند مالك بن أنس ، فحانت صلاة الظهر أو العصر ، وأنا أقرأ عليه ، وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبي ، وقمت لأركع ، فقال لي مالك : ما هذا ؟ قلت : أقوم إلى الصلاة ، قال : فقال : إن هذا لعجب ، ما الذي قمت اليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية .

وقال أبو هريرة : لكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه ، وما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . ولقد أحسن القائل رحمه الله حيث قال :

تعلَّم فان العلم زينٌ لأهله ... وفضلٌ وعنوانٌ لكلِّ المحامد

وكن مستفيداً كلَّ يومٍ زيادةً ... من العلم واسبح في بحور الفوائد

تفقه فان الفقه أفضلُ قائدٍ ... إلى البرِّ والتقوى وأعدل قاصد

هو العلم الهادي إلى سنن الهدى ... هو الحصن ينجي من جميع الشدائد

فان فقيهاً واحداً متورّعاً ... أشدُّ على الشيطان من ألف عابدِ

قال الامام أحمد : الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة ، أو مرتين ، والعلم يحتاج إليه كل وقت .

وقال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» : ويحكى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في مركب ، فانكسرت بهم السفينة فأصبحوا بعد عز الغنى في ذل الفقر ، ووصل العالم إلى البلد ، فأكرم ، وقصد بأنواع التحف والكرامات ، فلما أرادوا الرجوع لى بلادهم قالوا له : هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة ؟ فقال : نعم ، تقولون لهم : إذا اتخذتم مالا يغرق إذا انكسرت السفينة ، فاتخذوا العلم تجارة . واجتمع رجل ذوهيئة حسنة ، ولباس جميل ورواء ، برجل عالم ، فجس المخاضة ، فلم ير شيئاً ، فقالوا : كيف رأيته ؟ فقال : رأيت داراً حسنة مزحزفة ، ولكن ليس بها ساكن .

ولبعض العلماء رحمهم الله تعالى .

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأمُّ حوّاء
نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلة وأعظم خُلِقَتْ فيهم وأعضاء

فان يكن لهم من أصلهم حسب يفاخرون به فالطّينُ والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدرُ كلِّ امرىءٍ ما كان يحسنه والرجال على الأفعال أسماء
وضدُّ كل امرىءٍ ما كان يجهله والجاهلون لأهل العلم أعداء

ولا ينبغي للفاضل أن يترك علماً من العلوم النافعة التي تعين على فهم الكتاب والسنة إذا كان يعلم من نفسه قوة على تعلّمه ، ولا يسوغ له أن يعيب العلم الذي يجهلهُ ويزري بعالمه ، فانهذا نقص ورذيلة ، فالعاقل ينبغي له أن يتكلم بعلم ، أو يسكت بحلم ، وإلا دخل تحت قول القائل .

أتاني أنَّ سهلاً ذم جهلاً علوماً ليس يعرفُهُنَّ سهل
علوماً لو قراها ما قلاها ولكنَّ الرضى بالجهل سهل

* * *

فصل

في فضيلة الرحلة في طلب العلم

لم يزل العلماء قديماً وحديثاً ، وهم يسافرون إلى الأمصار ، ويجوبون الفيافي ، ويقطعون البحار ، طلباً للعلم الشريف من مظانه ، واقتباساً له من أماكنه . وقد رحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله ابن أنيس ليسمع منه حديثاً واحداً مسيرة شهر ، كما ذكره البخاري .

وقد ورد في فضيلة الرحلة إلى طلب العلم آثار ، منها ماروا ه الامام أبو عمر بن عبد البر ، عن زر بن حبيش ، قال : جاء رجل من مراد ، يقال له : صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ ، وهو في المسجد متكىء على برد له أحمر ، قال : فقلت : يارسول الله إني جئت أطلب العلم ، قال : « مرحباً بطالب العلم ، إن طالب لتحف به الملائكة ، وتظله بأجنحتها ، فيركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب ، فما جئت تطلب ؟ » قال : قلت : يارسول الله : لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فأفتني عن

المسح على الخفين »[1] وذكر الحديث .

وعن جميل بن قيس أن رجلا جاء من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق ، فسأله عن حديث . فقال له أبو الدرداء : ماجاءت بك حاجة ، ولا جئت في طلب التجارة ، ولا جئت إلا في طلب الحديث ؟ فقال الرجل : بلى ، فقال أبو الدرداء : أبشر ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن عبد يخرج يطلب علماً إلا وضعت له الملائكة أجنحتها ، وسلك به إلى الجنة ، وإنه يستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر ، وإن فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الانبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[2] وما أحسن ما قيل :

العلم ميراث النبيّ كذا أتى بالنّصّ والعلماء هم وُرّاثه

---

(١) رواه احمد والطبراني وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد

(٢) رواه احمد والترمذي وابو داود وابن ماجه والدارمي ، وهو حديث حسن .

ما خلّف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعُه وأثاثُه

قال سعيد بن المسيب : إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد .

وقال بشر بن عبيد الله الحضرمي : إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه . وقال الشعبي : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة مارأيت أن سفره ضاع . وقال قيس بن عبادة : خرجت إلى المدينة أطلب العلم والشرف .

فهمة ذوي الهمم العالية ما تدعهم يرضون بالدون ، بل تحملهم إلى طلب المجد في أي مكان يكون . انظر إلى قول القائل المصيب غير الفائل .

قوِّض ركابَك عن أرض تهان بها

وجانبِ الذُّلَّ إن الذُّلَّ يُجتنب

وارحل إذا كان في الأوطان منقصة

فالمندَلُ الرَّطبُ في أوطانه حطب

وكما أن العلماء يرحلون لطلب العلم ، كذلك يرحلون لنشره وتعليمه ، فقد يكون العالم بين عامة لا يعون الخير ولا يقبلونه ، أو بين حسدة ينافسونه ، فيحمله ذلك إلى مفارقة أوطانه ، والبعد عن معاهد أهله وجيرانه .

وقد قال العلماء : ازهد الناس بالعالم جيرانه وأهل بيته . وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن حزم الأندلسي يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة .

أنا الشَّمسُ في جوِّ العلوم منيرةً
ولكنَّ عيبي أن مطلعيَ الغرب
ولو أنني من جانبِ الشَّرقِ طالعٌ
لجدَّ على ما ضاع من ذكريَ النهب
ولي نحوَ آفاقِ العراقِ صبابةٌ
ولا غرو أن يستوحشَ الكلفُ الصَّبُّ
فان يُنْزلِ الرحمنُ رحليَ بينهم
فحينئذ يبدو التأسُّفُ والكَرْبُ

فكم قائل أغفلتـه وهو حاضر
وأطلب ما عنـه تجيء به الـكتب

هنـالك يدري أن للبعـد غصَّة
وأن كسـاد العلم آفتـه القرب

فواعجباً من غاب عنهم تشوَّقُوا
له ودنوُّ المرء من دارهم ذنب

★ ★ ★

فصل

في بيان فضيلة نشر العلم والدعوة الى الله تعالى

قال الله تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت: ١١ ولما تلا الحسن هذه الآية قال : هذا حبيب الله ؛ هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين ، هذا خليفة الله .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعَم »[1] وروى الحافظ ابن عبد البر عن ابن القاسم ، قال : كنا إذا ودعنا مالكاً يقول لنا : اتقوا الله ، وانشروا هذا العلم ، وعلِّموه ولا تكتموه .

وعن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ « من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم فيعمل به ثم يعلِّمه » . قال : وروينا عن

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

عبد الرحمن بن مهدي قال : كان أنس يقول : بلغني أن العلماء يُسألون يوم القيامة كما يُسأل الأنبياء ، يعني عن التبليغ . وقال ابن مسعود في قوله تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله) النحل :١٢٠ قال : الأمة : المعلم للخير ، والقانت : المطيع . وقال وهب بن منبه : سمعت سفيان بن عيينة يقول فى قوله عز وجل (وجعلني مباركاً أينما كنت) مريم:٣١ قال : معلماً للخير . وكان تميم الداري رضي الله عنه يعظ الناس ، ويعلّمهم الخير كل يوم جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في خلافة عمر رضي الله عنه ، كما ذكره الامام المقريزي في « الخطط » .

ولم يزل علماء الإسلام وهم يجتهدون في نشر العلم وبثّه ، ويختارون لذلك المجامع العظيمة ، كيوم الجمعة . وقد ذكر المؤرخون في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية أنه ينصب له كرسي كل يوم جمعة يذكّر الناس ، وإنما اختار يوم الجمعة ، لاجتماع الناس فيه ، فيكون أبلغ في التبليغ ، وكذلك الامام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي صاحب « العمدة » كان يقرأ

الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ، بجامع دمشق ، ويجتمع الناس اليه ، وحصل له قبول ، فكان سريع الدمعة ، فحسده الدماشقة ، فحسّنوا لأحد الحنابلة أن يذكر أيضاً بعد صلاة الجمعة في الجامع المذكور ، ومقصودهم في ذلك التشويش على الحافظ ، لكونهم حسدوه رحمه الله كما ذكره الامام الدلجي في كتاب « الفلاكة والمفلوكون » وهو من أنفع الكتب وأحسنها لتهذيب الأخلاق ، ومداواة النفوس . ولله در القائل :

ذاكرِ النَّاسَ بالعلومِ لتحيا ... لا تكن من أولي النهى ببعيد

إن كتمتَ العلومَ أُنسيت حتى ... لا ترى غيرَ جاهلٍ وبليد

ثم أُلجِمْتَ في القيامة ناراً ... وتلهَّبْتَ في العذاب الشديد

★ ★ ★

فصل

فيما ينبغي لناشر العلم أن يتحلى به من الفضائل

قال الله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف: ١٠٨ فأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقول: هذه الدعوة التي أدعو اليها، والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده، سبيلي وطريقي، ودعوتي إلى الله على بصيرة من ذلك، وعلم ويقين مني به أنا، ويدعو إليه أيضاً على بصيرة من اتبعني وصدقني. وقوله تعالى (وسبحان الله) أي: وقل تنزيهاً لله وتعظيماً له من أن يكون له شريك (وما أنا من المشركين) أي: بريء منهم، لست منهم، ولا هم مني. فدلت هذه الآية على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة، وأن يكون مخلصاً عمله لوجه الله تعالى، داعياً بالحكمة واللين والرفق.

قال في «فتح المجيد»: وقال العلامة ابن القيم في معنى قوله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) النحل: ١٢٣ الآية:

ذكر سبحانه وتعالى مراتب الدعوة ، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو ، فانه إما أن يكون طالباً للحق ، محباً له ، مؤثراً له على غيره إذا عرفه ، فهذا يدعى بالحكمة ، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال ، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق ، لكن لو عرفه آثره واتبعه ، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، وإما أن يكون معانداً معارضاً ، فهذا يجادل بالتي هي أحسن ، فان رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن . انتهى .

فتأمل هذه المراتب الثلاث يظهر لك خطأ كثير ممن يزعم أنه يدعو إلى الله وإلى دينه مع ارتكابه الطيش والعجلة ، وعدم الرفق بالمخالف . وهل هذا إلا من قلة التدبر لآيات الله ، والتأمل في سيرة النبي ﷺ ، وأصحابه رضي الله عنهم .

وسئل سهل بن عبد الله التستري : متى يجوز للعالم أن يعلم الناس ؟ قال : إذا عرف المحكمات من المتشابهات ، يعني إذا كان بصيراً بدين الله ، عالماً بالكتاب والسنة . وروى الامام ابن عبد البر ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه قال :

« علموا أو يسروا ولا تعسروا ثلاثاً »[1].

وعن أبي سعيد الخـــدري قال : قال رسول الله ﷺ :

« تعلموا العلم ، وتعلموا السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، ولمن تعلمونه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ».

وقال موسى بن عبيد الله الخاقاني :

علِّمِ العِلْمَ من أتاك لعلم واغتنم ما حييت منه الدعاء
وليكُنْ عندكَ الفقيرُ إذا ما طلبَ العلمَ والغنيُّ سواء

وذكر محمد بن الحسن الشيباني ، عن أبي حنيفة قال : الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم .

وقال الإمام الشافعي : من حفظ القرآن ، عظمت حرمته، ومن طلب الفقه ، نبل قدره ، ومن عرف الحديث ، قويت

---

(١) رواه الامام احمد، والبخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عباس وتمامه : «ولا تنفروا واذا غضب أحدكم فليسكت».

حجته ، ومن نظر في النحو ، رقَّ طبعه ، ومن لم يصن نفسه ، لم ينفعه علمه . ورحم الله القائل :

إذا أنت لم ينفعك علمُك لم تجِدْ

لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله

وإن زانك العلم الذي قد حملته

وجدت له من يجتنيه ويحمله

وعن الحسن رضي الله عنه ، قال : كان طالب العلم يرى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه ، يعني أن ثمرة العلم التي هي العمل ، تظهر عليه علاماتها وتؤثر في جوارحه وأعضائه . وقد قال ابن مسعود لأصحابه ، كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الحكمة ، سرج الليل ، جدد القلوب ، أحلاس البيوت ، خُلْقان الثياب تعرفون في أهل السماء ، وتخفون على أهل الأرض .

وقال الخليل بن أحمد : اجعل تعليمك دراسة لك ، واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً لما ليس عندك ، وأكثر من العلم لتعلم ، وأقلل منه لتحفظ .

وعن عبد الرحمن بن مهدي ، عن محمد بن النضر الحارثي قال : أول العلم الاستماع ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الحفظ ، قيل ، ثم ماذا ؟ قال : العمل ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : النشر ، والله أعلم .

* * *

فصل

في جمل نافعة من آداب المتعلم

اعلم أنه مما يلزم طالب العلم النبيه إكرام معلمه وأستاذه، وتعظيمه واحترامه، لينصح في تعليمه، ويجد في إرشاده وتفهيمه، فقد قال من صدق في المقال :

إنَّ المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان إذا هما لم يُكرما

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه
واقنع بجهلك إن جفوت معلّما

ولا ينبغي لطالب العلم أن يجادل معلّمه، أو يماريه ، فيحرم بذلك علماً كثيراً ، بل يلزمه الرفق والتودد ، وطلب رضاه .

قال الزهري : كان أبو سلمة يماري ابن عباس ، فحرم بذلك علماً كثيراً .

وعلى المتعلم الصبر ، واحتمال الغضب من المعلم إن غضب

عند التعليم ، لينال بذلك الرضى ، فيستخرج ما عند معلّمه من العلوم . ورحم الله القائل :

إصبر على مرّ الجفا من معلّمٍ
فان رسوخَ العلْمِ في نفراته
ومن لم يذُقْ ذُلَّ التعلم ساعة
تجرَّع ذلَّ الجهل طولَ حياته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبّرْ عليه أربعاً لوفاته

وعن سعيد بن المسيب أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : إن من حق العالم ألا تُكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وأن لا تلحَّ عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشينَّ له سراً ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا تطلبنَّ عثرته ، وإن زل قبلت معذرته . وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

ولا بد لطالب العلم من التواضع ، وحسن الخلق ، وطرح

الـكبر ، لينتفع بعلمه ، وينفع غيره . وفي هذا المعنى أنشد بعضهم :

إن التواضع من خصال المتقي ... وبه التقيُّ إلى المعالي يرتقي

ومن العجائبِ عُجْبُ من هو جاهل

في حـاله أهو السعيد أم الشَّقي ؟

أم كيف يَختم عمره أو روحَه ... يومَ التَّوى متسفِّل أو مرتقي

والكـبرياء لربِّنا صفةٌ به ... مخصوصـة فتجنَّبنْهـا واتقي

وقال الحسين بن علي لابنه : يابني إذا جالست العلماء ، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلَّم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الصمت ، ولا تقطع على أحد حـديثاً وإن طال حتى يمسك .

وقالت الحكماء : إذا جالست العلماء ، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول .

حكى بعضهم : أن الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ، ليعلِّمه العـلم والأدب ، فرآه يوماً يتوضأ ، ويغسل رجله ، وابن الخليفة يصب الماء على رجله ، فعاتب الأصمعي في

ذلك فقال : إنما بعثته إليك لتعلّمه وتؤدّبه ، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء باحدى يديه ، ويغسل بالأخرى رجلك . فتأمل لعلك ترشد وتسعد .

ومما لا يليق بطالب العلم اغتراره بنفسه ، وتوهمه أنه أعلم من معلّمه أو مثله ، فان هذا تسويل من النفس ، وخدعة من الشيطان .

قال الفراء : قال لي رجل : ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟! فأعجبتني نفسي ، فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأني طائر يغرف بمنقاره من البحر .

ولصالح بن عبد القدوس :

وإن عناءً أن تفهّم جاهلاً ... فيحسب جهلاً أنه منك أفهم

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟!

متى ينتهي عن سيّءٍ من أتى به ... إذا لم يكن منه عليه تندّمُ ؟!

ومن المعلوم عند الفضلاء أنه ليس كل إنسان قابلاً لكل علم ، فينبغي لطالب العلم أن يتعلّم ما يسهل عليه ، ويرى نفسه

قابلة له ، وإلا أضاع عمره في طلب ما لا سبيل إليه .

قال الأصمعي : كنت أتردد إلى الخليل بن أحمد آخذ عنه علم العروض ، فاستعصى عليَّ ، فلما جئته ذات يوم قال لي : كيف تقطّع يا أبا سعيد ؟

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فعلمت مراد الشيخ ، وانصرفت عنه ، ولم أعد إليه لأخذ علم العروض ،

قال العلماء : وينبغي لطالب العلم أن لا يجلس قريباً من معلّمه عند الدرس ، بل ينبغي أن يكون بينه وبينه قدر قوس ، فانه أقرب إلى التعظيم ، ولا ينبغي له أن يكون لئيماً يغتاب معلّمه ومن يشاركه في الدرس من الطلبة ، ويقابل الحسنة بالسيئة ، كما شاهدنا ذلك من كثير من الطلاب ، حتى حرموا العلم بسبب ذلك ، بل الواجب عليه الاعتراف بفضله ، والدعاء له ، ونشر محاسنه ، والكف عن مساوئه ، فلمعلمه من الفضل عليه أعظم من فضل أبيه ، كما اعترف به بعض النجباء الأذكياء حيث يقول :

أفضّل أستاذي على فضل والدي

وإن نالني من والدي المجد والشرف

فهذا مربّي الروح والروحُ جوهرٌ

وذاك مربّي الجسم والجسمُ كالصدف

وقال الآخر :

إذا أفادكَ إنسان بفائدةٍ من العلوم فلازمْ شكره أبداً

وقل فلانٌ جزاه الله صالحةً أفادنيها وألقِ الكبرَ والحسدا

وينبغي لطالب العلم أن يتخلّى من جميع الرذائل، ويتحلّى بما أمكنه من الفضائل ، فيكون محسناً للخلق ، جميل المعاشرة ، ممتثلا لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : « وخالق الناس بخلق حسن »[1] ويسلم على الكبير والصغير من المسلمين ، ويحرص على ابتدائهم بالسلام ، فمن علامة النجابة بالطلاب ، حسن السمت والأدب ، واحترام الناس عموماً ، وقد قال الله تعالى : (وقولوا للناس حسناً) البقرة :٨٣ .

وينبغي لطالب العلم أن لا يصحب إلا من يعينه على تقوى

(١) هو قطعة من حديث أخرجه أبو داود والترمذي ، وهو حديث حسن.

الله تعالى وطاعته ، ويحذر كل الحذر من مخالطة السفهاء ، وأهل المجون والوقاحة ، وسيئي السمعة والأغبياء والبُلَداء ، فان مخالطتهم سبب الحرمان ، وشقاوة الإنسان . وما أحسن ماقيل :

لاتصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

وقال غيره :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
فان كان ذا شر فجانبه سرعة وإن كان ذاخير فقارنه تهتدي

وروى الإمام أبو عمر بن عبد البر عن ابن أبي حسين أنه قال : بلغني أن لقمان الحكيم كان يقول : يابني لا تتعلَّم العلم لتباهي به العلماء ، وتماري به السفهاء ، وترائي به في المجالس ، ولا تدع العلم زهداً فيه — وفي رواية : حياءً من الناس ، ورغبة في الجهالة — يا بني اختر المجالس على عينك ، فاذا رأيت قوماً يذكرون الله ، فاجلس معهم ، فانك إن تك عالماً ينفعك علمك ، وإن تك جاهلا يعلّموك ، ولعل الله يطلع عليهم برحمته فتصيبك

معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله ، فلا تجلس معهم ، فانك إن تك عالماً لا ينفعك علمك ، وإن تك جاهلا يزيدوك غياً ، ولعل الله يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم .

ويجب على طالب العلم أن يديم حمد الله تعالى ، وشكره على نعمه العظيمة ، وآلائه الجسيمة التي من أعظمها أن جعله محباً للعلم ، طالباً له ، معدوداً من أهله ، ولا شك أن هذا اصطفاء من الله تعالى ، وقد قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[1] فلذا ينبغي لطالب العلم أن يتذكر أن الدنيا فانية ، والعمر قصير ، والأجل قريب ، حتى يقدّم من العلوم الأهم على المهم ، وأهم مايلزمه الفقه في الدين ، والعمل به ، وما سوى ذلك ، فلا يجب على الإنسان علمه . وأنشد بعضهم :

إذا ما اعتزّ ذو علم بعلم فعلم الفقه أولى باعتزاز

فكم طيب يفوح ولا كمسك

وكم طير يطير ولا كباز

وقال في « غذاء الالباب » في شرح قول الامام ابن عبد القوي:

---

(١) رواه البخاري من حديث معاوية رضي الله عنه .

ولا تسأمنَّ العلم واسهر لنيله بلا ضجر تحمدْ سُرى الليل في غد

فمن ألف السهاد ، وترك الوساد والمهاد ، وجاب البلاد ، وحُرم الأهل والأولاد ، نال منه المراد . من طلب وجدَّ وجد ، ومن قرع الباب ولجَّ ولج ، ومن ألف السآمة والنوم ، لم ينل ما نال القوم ، فاذا رأيت نفسك لا تنهض لنيل العلوم ، ولا تدأب في إدراك المنطوق منها والمفهوم ، فاعلم أنك ممن استرذله الله وأبعده ، واستحوذ عليه الشيطان وأقعده ، فعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال : اذا استرذل الله عبداً زهَّده في العلم . وقال الامام أحمد رضي الله عنه : لا يثبّط عن طلب العلم إلا جاهل . وقال : ليس قوم خيراً من أهل الحديث .

ومما يزين طالب العلم كبر عقله ، والتودد إلى الناس ، والاعتراف بفضل الفاضل ، والتغافل عن جهل الجاهل . ولقد أحسن القائل :

وما عبَّر الانسانُ عن فضل نفسه

بمثل اعتقاد الفضل في كلِّ فاضل

وليس من الإنصافِ أن يدفعَ الفتى
يدَ النَّقصِ عنه بانتقاصِ الأفاضل

ومن كلام الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين . وقال شيخه :

فكابِدْ إلى أن تبلغَ النَّفسُ جهدَها
وكن في اكتساب العلم طلاَّعَ أنجُد

★ ★ ★

فصل

في بيان آفة العلم وكراهية وضعه عند من ليس من أهله

قال الامام النووي رحمه الله في « المقاصد » : فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سناً وعقلاً ودیناً. وقال السفاريني في «غذاء الألباب»: وحرمان العلم يكون بستة أوجه . أحدها : ترك السؤال ، الثاني : سوء الإنصات ، وعدم إلقاء السمع ، الثالث : سوء الفهم ، الرابع : عدم الحفظ ، الخامس : عدم نشره وتعليمه ، فمن خزن علمه ، ولم ينشره ، ابتلاه الله بنسيانه جزاءً وفاقاً ، السادس : عدم العمل به ، فان العمل به يوجب تذكّره ، وتدبّره ، ومراعاته ، والنظر فيه ، فاذا أهمل العمل به نسيه . قال بعض السلف : كنا نستعين على حفظ العلم والعمل به . وقال بعضهم .

العلم يهتف بالعمل ، فان أجابه وإلا ارتحل

فما استدَّر العلم واستجلب بمثل العمل به . وروى الامام أبو عمر ابن عبد البر ، عن الزهري أنه قال : إنما يُذهب العلمَ النسيانُ ، وترك المذاكرة . وقال بعضهم :

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه

ولم يدَّكِرْ علماً نسي ما تعلما

وعن الاعمش مرفوعاً « آفة العلم النسيان وإضاعته أن يحدث به غير أهله » وعن أبي فروة أن عيسى عليه السلام كان يقول : لا تمنع الحكمة أهلها فتأثم ، ولا تضعها عند غير أهلها فتجهل ، ولتكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع .

وللامام الشافعي رحمه الله تعالى :

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي

ولا أنثر الدُّر النفيس على الغنم

فان يسَّر الله الكريم بفضله

وصادفتُ أهلاً للعلوم وللحكم

بثثت مفيداً واستفدت ودادهم

وإلا فمخزون لديَّ ومكتتم

فمن منح الجهال علماً أضاعه

ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « قام أخي عيسى عليه السلام خطيباً في بني اسرائيل ، فقال : يابني اسرائيل لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . وقد نظم هذا بعض الحكماء فقال :

من منع الحكمة من أهلها أصبح في الناس لهم ظالما
أو وضع الحكمة في غيرهم أصبح في الحكم لهم غاشما
لا خير في المرء إذا ما غدا لا طالب العلم ولا عالما

ولقد أحسن القائل في قوله :

وإذا حملت إلى سفيه حكمة فلقد حملت بضاعة لا تنفق.

وقد روي مرفوعاً : «واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والذهب »

ومن آفات العلم استغناء الانسان بنفسه ، وثقته بعلمه ، وحدسه عن مراجعة العلماء ، والأخذ عنهم ، والاستضاءة بنور أفكارهم ، فلقد حذر العلماء عن ذلك ، وبالغوا في النهي عنه ،

كما روى العلامة ابن خلكان في ترجمة الحافظ الامام ابن عساكر قوله :

ألا علمُ الحديث أجلُّ علم ... وأشرفُه الأحاديثُ العوالي
وأنفع كلِّ نوعٍ منه عندي ... وأحسنه الفوائد والأمالي
وإنك لن ترى للعلم شيئاً ... يحققه كأفواه الرجال
فكن ياصاح ذا حرصٍ عليه ... وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صُحُفٍ فترمى
من التصحيف بالدّاء العُضال

ومما يقبح بالمتعلّم ، ويرفع عنه نور العلم والفضل والكمال، ويكون سبباً لحرمانه ، وعدم انتفاعه ونفعه بعلمه إطلاق لسانه بالشتم ، والقذف ، والغيبة ، والنميمة ، وغير ذلك من صفات الأراذل الذميمة ، وأقبحها الحسد ، عياذاً بك اللهم من ذلك ، فان الحسد ـ كما في « غذاء الألباب » ـ ضار في الدين والدنيا .

أما ضرره في الدين ، فان الحاسد قد سخط قضاء الله

تعالى ، فكره نعمته على عباده ، وهذا قذى في بصر الإيمان ، ويكفيه أنه شارك إبليس في الحسد ، وفارق الأنبياء في جهم الخير لكل أحد . ولقد أحسن القائل :

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب ؟
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك ربي بأن زادني وسدَّ عليك وجوه الطلب

وقد ذكرت أشعاراً لطيفة في ذم الحسد ، وأقسام الحسدة في آخر « شرح شواهد شرح القطر » وبينت هناك أن الحسدة ربما حصل بهم نفع للمحسود مع ضررهم لأنفسهم .

وأما ضرره في الدنيا ، فان الحاسد يتألم ، ولا يزال في كمد . وأنشدوا :

دع الحسود وما يلقاه من كمَدٍ
كفاك منه لهيبُ النارِ في كبده
إن لمت ذا حسدٍ نفَّست كُربته
وإن سكتَّ فقد عذَّبته بيده

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : مارأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد ، حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم ، وحسرة لا تنقضي .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إياكم والحسد ، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » أو قال : «العشب »[1] .

قال في « غذاء الألباب » فبالله عليك اعرف قدر الدنيا ، واعلم أنها هموم متراكمة ، وغموم متلاطمة ، وحساب وعذاب ، وهي خِرَق وتراب ، وصور وخراب ، فرحما الله امرءاً عرف نفسه ، وعرف الدنيا ، وعمل على مقتضى كلٍ بحسبه ، والله سبحانه وتعالى المسؤول أن يقذف في قلوبنا من النور ما يزول به الديجور ، ونشاهد حقائق الأمور على حسب ما يرضي الغفور ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

---

(١) رواه ابو داود في «الأدب» من حديث إبراهيم بن أسيدعن جده . قال المنذري : جد ابراهيم هذا لم يسم ، وذكر البخاري ابراهيم هذا في « التاريخ الكبير » وذكر له هذا الحديث وقال: لا يصح .

فصل

في بيان الإنصاف في العلم وأنه يزين العالم

قال أبو عمر ابن عبد البر : من بركة العلم وآدابه ، الانصاف فيه ، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يُفهِم .

وقال بعض العلماء : ليس معي من العلم إلا أني أعلم أني لست أعلم .

أقول : يعد مثل هذا الكلام فضيلة لقائله إذا كان عالماً هاضماً لنفسه ، عارفاً نقصه بالنسبة إلى من هو أكثر منه علماً ، وأما إن كان لاعلم عنده ، وقال ذلك مخبراً عن نفسه ، ومعترفاً بنقصه ، فيكون جاهلاً بسيطاً يجب عليه التعلم .

وقال محمود الوراق :

أتمُّ الناسِ أعرفهم بنقصه وأقمعهم لشهوته وحرصه

وعن عمر بن الخطاب أنه قال : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، ولو كانت بنت ذي العصمة ، يعني يزيد بن الحسين الحارثي ، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال ، فقامت

امرأة من صف النساء طويلة فيها فطس [1] فقالت : ما ذلك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله عز وجل يقول (وآتيتُم إحداهُنَّ قِنْطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) فقال عمر : امرأة أصابت ، ورجل أخطأ .

وهذا في غاية الإنصاف من أمير المؤمنين مع ما أعطاه الله من الخلافة والمهابة ، ومحبة الرعية ، وكمال الشرف والسؤدد ، وكثرة الفتوحات ، وكونه ملهماً محدَّثاً حيث اعترف بالخطأ ، ورجع عنه ، لتنبيه امرأة ، فرضي الله تعالى عنه وعن العلماء العاملين المنصفين .

قال أبو عمر : وكان مالك بن أنس يقول : مافي زماننا شيء أقل من الإنصاف .

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: قلت لمالك : ما أعلم أحداً أعلم بالبيوع من أهل مصر . فقال له مالك : وبم ذلك ؟ قال : بك . قال : أنا لا أعرف البيوع ، فكيف يعرفونها بي ؟ !

---

(١) الفطس «بفتحتين : تطامن قصبة الأنف وانتشارها .

وقال خالد بن يزيد بن معاوية : عنيت بجمع الكتب ، فما أنا من العلماء ، ولا من الجهّال .

وقال يزيد بن عبد الملك :

إذا تحدثتُ في مجلس تناهى حديثي إلى ما علمت
ولم أعدُ علمي إلى غيره وكان إذا ما تناهى سكت

وعن عبد الله بن وهب قال : سمعت مالكاً يقول : المراء يقسي القلب ، ويورث الضِّغن . وإنما قال مالك رحمه الله ذلك ، لأن المقصود من العلم ، هو أن يكون سبباً موصلاً إلى مرضاة الله تعالى ، ولم يكن من سيرة السلف الصالح الجدال والمراء ، بل قصدهم ظهور الحق ، كما قال الوالد عليه الرحمة في بعض رسائله ، وقد أفتى بمسألة ، فخطأه بعض مشايخنا ، وكتب إلى الوالد بذلك ، فأجابه برسالة قال في أولها : وهذا أخي ليس من الدين — يعني الاعتراض من غير تحقيق — ولا من سنة عباد الله الصالحين ، لا سيما الإخوان المتناصحين ، فلقد كان منهم من يقول : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ، إذ لم

يكن لهم قصد إلا ظهور الحق ، ولم يبالوا مع من كان .

ثم ذكر رحمه الله تعالى الجواب في قريب من عشرين صحفة ، تبين فيها خطأ شيخنا رحمه الله بشهادة العلماء الأعلام .

ومما يليق ذكره في هذا المقام ، أنه وقعت لي عبارة في « الكواكب » وهي قولنا : فهو تعالى مستوٍ على عرشه على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواءً منزهاً عن المماسة والتمكن والحلول .

فبلغني عن بعض الإخوان أنه قال : إن قوله : منزهاً عن المماسة ، لم يرد عن السلف ، وما كدت أصدق لظهور المسألة ، وكونها من البديهيات حتى تواتر النقل لديَّ من الطلبة، فأحببت أن أذكر مستندي هنا على وجه الاختصار ، تنبيهاً للغافل ، وخوفاً من استطالة الجاهل ، وإلا فمحل بسط الكلام على هذه المسألة في كتابنا الذي ألفناه في الرد على الجهمية عندما نعود إلى إتمامه إن شاء الله تعالى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه في « التدمرية »

وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق ، والخالق مبـاين للمخلوق سبحانه وتعالى ، ليس في مخلوقاته شيء في ذاته ،ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

فهذا الكلام صريح في عدم مماسة الباري تعالى لشيء من مخلوقاته، إذ المباين غير مماس ، فالمباينة والمماسة نقيضان لا يجتمعان ، ولا يرتفعان ، وقد خطأ العقلاء ـ ومنهم شيخ الاسلام وابن القيّم ـ من يثبت شيئاً ، وينفي نظـيره ، فالذي يعترف بالمباينة يلزمـه عقلاً الاعتراف بعـدم المماسة ، وإلا كابر المعقول ، وخالف المنقول ، وهذا في غاية الغباوة والبلاهة عند العقلاء .

وقد صرح بذلك الإمام أحمـد في رده على الجهمية حيث قال : فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله عز وجل أنه مع خلقه في كل شيء ، قال : هو غير مماسٍ للشيء ، ولا مباين منه . فقلنا للجهمي : إذا كان غير مباين ، أليس هو مماس ؟ قال : لا ، فقلنا : فكيف يكون في كل شيء غير مماس للشيء ؟ فلم يحسن الجواب ، فقال : بلا كيف ، فخدع الجهال بهذه الكلمة وموّه عليهم .

والشاهد من هذا قوله : إذا كان غير مباين أليس هو مماس ؟ .

فقول أهل السنة : بائن من مخلوقاته ، معناه : غير مماس لها.

وأما من لم يعترف بالمباينة ، فقد صرح بكفره إمام أئمة أهل السنة .

وقال (ابن القيم) في « الجيوش الإسلامية » : لما ذكر قول الإمام أحمد :

وقال في موضع آخر : وإن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة ، يعلم ما تحت الأرض السفلى ، وإنه غير مماس لشيء من خلقه ، هو تبارك وتعالى بائن من خلقه ، وخلقه بائنون منه .

فانظر إلى قول الإمام أحمد : وإنه غير مماس لشيء من خلقه . وهل يقول مسلم : إن العرش ليس من جملة خلقه ،وإن الله ليس مبايناً له ، حاشا وكلا .

قال شيخ الإسلام رضي الله عنه في « التدمرية » بعد

كلام : وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات ، أي : مباين لها ، منفصل عنها ، ليس حالاً فيها ، فهو سبحانه وتعالى كما قال أئمة أهل السنة : فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، فهذا صريح في أنه سبحانه وتعالى منفصل عن مخلوقاته ، ليس مماساً لشيء منها ، ومن جملتها العرش .

وقال رحمه الله : فأما علوّه ومباينته للمخلوقات ، فيعلم بالعقل الموافق للسمع ، وأما الاستواء على العرش ، فطريق العلم به هو السمع [1] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه في شرحه لحديث النزول [2] عن شيخ الاسلام الأنصاري ، صاحب « منازل السائرين » الذي شرحه الامام ابن القيم في « مدارج السالكين »

---

(١) تنبيه : لو عرف المعترض مسألة الخلاف بيننا وبين الجهمية ، لما اعترض ، فالجهمية الحلولية قالوا : هو تعالى في كل مكان ، والجهمية النفاة قالوا : لا داخل العالم ولا خارجه . وأهل السنة قالوا : هو على عرشه بائن من جميع مخلوقاته ، وهذا هو الحق الذي ندين الله تعالى به . المؤلف : محمد بن مانع

(٢) وقد قام بطبعه المكتب الاسلامي طباعة متقنة وذلك في سنة ١٣٨١هـ

وهو من أكثر أهل السنة رداً على النفاة ما نصه : هو على عرشه باخباره لنفسه ، فالعرش حد خلقه الأعلى ، وهو غير محدود بعرشه ، والعرش محتاج إلى مكان ، والرب عز وجل غير محتاج إليه ، كما قال سبحانه وتعالى : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ الرحمن : اسم ، والاستواء : نعته متصل بذاته ، والعرش : خلقه منفصل عن صفاته ، ليس بمضطر إلى مكان يسعه ، ولا حامل يحمله .

فهذه نصوص أهل العلم كما رأيت ، صريحة وظاهرة في نفي المماسة لشيء من المخلوقات ، والعرش منها[1] ، ومع هذا فاني أطلب الدليل ممن خالفني .

قال سبحانه وتعالى : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم

---

(١) صرح الشيخ عبد القادر الجيلاني في « الغنية » والآلوسي في « جلاء العينين » وصديق في « الانتقاد الرجيح » بنفي المماسة ، وذكر في « لوائح الأنوار » و « الغنية » أن القول بالمماسة هو قول المجسمة ، ونقل في « جلاء العينين » عن ابن الجوزي أنه قال في أناس يجيزون المماسة : عليهم اللعنة ليسوا بمسلمين .

صادقين) البقرة :١١١ وليس لأحد أن يثبت شيئاً أو ينفيه إلا بدليل ، كما قاله شيخ الاسلام وغيره . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، والمصادمة في النقل غير جائزة .

قال سبحانه وتعالى : (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) الأحقاف: ١١ وقال سبحانه وتعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس : ٣٩ والمناظرة في العلم لتحقيق الحق هي سيرة الفضلاء ، وكلٌ يتكلم بما رزقه الله تعالى من العلم والفهم .

وقد قال بعض الفضلاء : لم أطلب العلم لأبلغ أقصاه ، ولكن لأعلم مالا يسعني جهله .

وقال الشاعر :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده

أطال فأملى أم تناهى فأقصرا

ويخبرني عن غائب المرء فعله

كفى الفعل عما غيّب المرء مخبرا

قال أبو عمر : وكان يقال : إذا علّمت العاقل علماً حمدك ، وإن علّمت الجاهل ذمك ومقتك ، وما تعلم مستحي ولا متكبر قط .

وقال الحسن : العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ، ما يفسد أكثر مما يصلح ، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم ، فان قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ . ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا .

وعنه أيضاً قال : إن من أخلاق المؤمن قوةً في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً على علم ، وشفقةً في مِقة ، وقصداً في عبادة ، ورحمة للمجهود ، وإعطاءً للسائل ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، في الزلازل وقور ، وفي وفي الرخاء شكور ، قانع بالذي له ، ينطق ليفهم ، ويسكت ليسلم ، ويقر بالحق قبل أن يشهد عليه .

قلت : فما أحسن هذا الكلام ، وأصدقه ، وجدير بمن نصح نفسه ، وخالف شيطانه وهواه ، أن يحمل نفسه على الاتصاف به ، ويجاهدها في سبيل الحق ليفوز بالسعادة دنيا وأخرى .

وقد أشار إليَّ بعض أصحابي الأذكياء أن أذكر هذه

المسألة هنا ، لعلمه بما تؤول إليه الشبه ، ولبس الحق بالباطل مما لا تحمد عاقبته ، فامتثلت إشارته . وأما أنا فإني أحتقر كل كلام صدر عن سوء نية ، وأغراض ردية . ولقد أحسن القائل :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

* * *

فصل

في فوائد مهمة وحكم مفيدة حقيق بطالب العلم فهمها

اعلم أن من الآداب التي ينبغي لطالب العلم فهمها، والعمل بها، ما أرشد إليه الأئمة الفضلاء، الذين أفنوا أعمارهم في طلب الفضائل والأعمال الصالحة، كالإمام ابن حزم، فقد قال رحمه الله تعالى في كتاب «مداواة النفوس»: إذا حضرت مجلس العلم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد، مستزيد علماً وأجراً، لا حضور مستغن بما عندك، طالباً عثرة تشنعها، أوغريبة تشيعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العلم أبداً. قال: وإياك أن تراجع مراجعة العالم، وإذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة، قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع.

قلت: وهذا سبب ـ والعياذ بالله ـ لعدم التوفيق، كما قال الامام ابن القيم في «النونية»[1]

إن البدار برد شيءٍ لم تُحِطْ علماً به سببٌ إلى الحرمان

(١) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعها مع شرحها المسمى «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» للشيخ أحمد بن عيسى، وذلك سنة ١٣٨٢ هـ

قال ابن حزم : فرض على الناس تعلّم الخير والعمل به ، فمن جمع الأمرين ، استوفى الفضلين معاً ، ومن علمه ، ولم يعمل به ، فقد أحسن في التعليم ، وأساء في ترك العمل به ، فخلط عملاً صالحاً ، وآخر سيئا ، وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به ، وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالاً ، وأقل ذماً من آخر ينهى عن تعلّم الخير ، ويصدّ عنه .

قلت : والمتصفون بصفة هذا القسم الأخير سماهم الإمام ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » نواب إبليس في الأرض ، وهم الذين يثبطون الناس عن طلب العلم ، والتفقه في الدين ، فهؤلاء أضرّ عليهم من شياطين الجن ، فانهم يحولون بين القلوب ، وبين هدى الله وطريقه .

قال بعض العلماء : وينبغي لطالب العلم أن لا ينازع أحداً ، ولا يخاصمه ، لأنه يضيع أوقاته . وأنشد :

ولا تجزِ إنساناً على سوءِ فعله

سيكفيه ما فيه وما هو فاعله

قيل : من أراد أن يرغم أنف عدوه ، فليجدَّ في كسب الفضائل ، واجتناب الرذائل ، ولهذا قال الشاعر :

إذا شئت أن تلقى عدوَّكَ راغماً
وتقتلَه غمّاً وتَحْرقَه همّا
فَرُمْ للعُلى وازدَدْ من العلم إنه
من ازدادَ عِلماً زادحاسِدَه غما

وقال الناصحون من العلماء العاملين : عليك أن تشتغل بمصالح نفسك ، ، لا بقهر عدوك ، فاذا قمت بمصالح نفسك ، تضمن ذلك قهر عدوك ، وإياك والمعاداة ، فانها تفضحك ، وتضيع أوقاتك ، وعليك بالتحمل لاسيما من السفهاء ، وإياك أن تظن شراً بالمؤمنين ، فانه منشأ العداوة ، ولا يحل ذلك .

قال عمر رضي الله تعالى عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك شراً تجد لها في الخير محملاً . وإنما ينشأ سوء الظن من خبث النية ، وسوء السريرة ، كما قال أبو الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من تَوَهُّم

وعادَي محبّيه بقول عُداتِه

وأصبحَ في ليل من الشّكِ مُظلِم

وقال الآخر :

تنحَّ عن القبيح ولا تُرِدْه

ومن أوليْتَه حسناً فزِدْه

ستُكْفَى من عدوِّكَ كلَّ كَيْدٍ

إذا كادَ العدوُّ فلا تكده

وقال غيره :

ذو العقل لا يسلم من جاهل يسومه ظلماً وإعناتاً

فليختر السلم على حربه وليلزم الإنصات إن صاتا

ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره ، ولهذا قيل : من أسهر نفسه بالليل ، فقد فرح قلبه بالنهار .

وينبغي للطالب أن يغتنم أيام الحداثة ، وعنفوان الشباب كما قيل :

بقدر الكدّ تُعطى ما تروم ... فمن رام العلى ليلاً يقوم

وأيام الحداثة فاغتنمها ... ألا إن الحداثة لا تدوم

ومما يجمل بطالب العلم الهمّة العالية في التحصيل ، وعدم الانقطاع عن القراءة ، فان المرء يطير بهمته ، كالطير يطير بجناحيه .

وعليه الاستقامة والصبر ، والثبات والاجتهاد ، فسيأتيه يوم يحمد ما مضى من اجتهاده ، وليحذر الكسل والفتور والملل ، فمن ذلك يكون النقصان .

وما أحسن ما قيل :

لكلٍّ إلى شأوِ العُلا حركات

ولكن قليلٌ في الرجال ثبات

قال العلماء : ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة ، والمطارحة ، فينبغي أن يكون بالانصاف ، والتأني ، والتأمل ، ويحترز عن الغضب والشغب ، فان المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب ، وذلك

إنما يحصل بالتأمل والانصاف ، ولا يحصل بالشغب والغضب .

وقد كان بعض العلماء المنصفين إذا توجه عليه الإشكال؛ ولم يحضره الجواب ، يقول : ما ألزمته لازم ، وأنا فيه ناظر ، لقوله سبحانه وتعالى : (وفوق كل ذي علمٍ عليم) يوسف : ٧٦.

* * *

فصل

في فضيلة كتب العلم وبيان الاستغناء بها عن مجالسة أكثر الناس

حقيق بمن رزقه الله علماً وفهماً أن لا يضيع أوقاته سدى وهملاً بغير طاعة ، وأن لا يشغل نفسه باللهو والبطالة ، فهذه حالة لا يرضاها لنفسه اللبيب ، ومنزلة يتعوّذ منها الأريب .

وقد ذكر الامامُ ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » عن بعض السلف أنه قال : إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزداد فيه علماً يقرّبني إلى الله ، فلا بُورِكَ لي في طلوع شمس ذلك اليوم . قال: وفي مثله قال القائل :

فان مرَّ بي يوم ولم أستفد هُدَىً

ولم أكتسبْ عِلماً فما ذاك من عمري

الحزم كل الحزم أن يعرف الانسان قيمة عمره ، ولا يفنيه

إلا بطاعة الله تعالى. أما يرضيه أن يجعل الكتاب له أنيساً ، ولا يستبدل به من الناس جليساً ، ففي ذلك من الفوائد الجليلة ما عَرفه أرباب القلوب الواعية ، والنفوس الزكية . ولهذا قال الإمام ابن عبد القوي رحمه الله :

وفي خلوة الانسان بالعلم أُنسه ويسلم دينُ المرء عند التوحُّد

ويسلم من قالٍ وقيلٍ ومن أذى
جليس ومن واشٍ بغيض وحُسَّد

فكن حِلْسَ بيتٍ فهو سترٌ لعورة
وحِرْزُ الفتى عن كلِّ غاوٍ ومفسد

وخيرُ جليسِ المرءِ كُتْبٌ تُفيدُه
عُلوماً وآداباً كعقل مؤيّد

وخالطْ إذا خالطتَ كلَّ موفَّقٍ
من العلما أهل التُّقى والتعبُّد

يُفيدُك من علْمٍ وينهاك عن هوىً
فصاحبُه تُهدى من هداه وتُرشد

فالعاقل إنما يخالط الأفاضل الأماثل من أهل التعبُّد والعلم والرزانة والحلم ، فاذا لم يجد مَنْ هذه صفته ، فليعكف على العلم ، ومطالعة كتبه ، كما قيل :

العلم آنسُ صاحبٍ أخلو به في وحدتي
فاذا اهتممت فسلوتي وإذا خلوت فلذّتي

قال الفضلاء : إن الكتاب هو الجليس الذي لا ينافق ولا يمل ، ولا يعاتبك إذا جفوته ولا يُفشي سرّك .

وقال بعض الوزراء لبنيه : يا بَنيَّ إذا وقفتم في الأسواق ، فلا تقفوا إلا على من يبيع السلاح ، أو يبيع الكتب .

وأرسل بعض الخلفاء في طلب بعض العلماء ليستأمره ، فلما جاء الخادم إليه ، وجده جالساً وحواليه كتب ، وهو يطالع فيها ، فقال له : إن أمير المؤمنين يستدعيك ، قال : قل له : عندي قوم من الحكماء أُحادثهم ، فاذا فرغت منهم ، حضرت ، فلما عاد الخادم إلى الخليفة ، وأخبره بذلك ، قال له : ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين

ما كان عنده أحد ، قال : فأحضره الساعة كيف كان ، فلما حضر ذلك العالم ، قال له الخليفة : من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك ؟ قال : يا أمير المؤمنين :

لنا جلساءٌ ما نَمَلُّ حديثَهم ألبَّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من عِلْمهم علْمَ ما مضى

ورأياً وتأديباً ومجداً وسُؤْدُدا

فان قلت أمواتٌ فلم تعدُ أمرهم وإن قلت أحياءٌ فلست مفنَّدا

فعلم الخليفة أنه يشير بذلك إلى الكتب ، ولم ينكر عليه تأخُّره .

وقال الجاحظ : دخلت على محمد بن إسحاق أمير بغداد في أيام ولايته ، وهو جالس في الديوان ، والناس مثول بين يديه، كأنَّ على رؤوسهم الطير ، ثم دخلت إليه بعد مدة ، وهو معزول ، وهو جالس في خزانة كتبه ، وحواليه الكتب والدفاتر والمساطر ، فما رأيته أهيبَ منه في تلك الحال . وقال أبو الطيب:

أعزّ مكان في الدُّنا سرجُ سابحٍ

وخيرُ جَليسٍ في الزمانِ كتاب

فصل

في تنبيه ذوي الافهام على نبذة من فضائل الامام شيخ الاسلام ومؤلفاته العظام

إن من اختصه الله تعالى بشرف المنزلة ، وأنعم عليه بعلوّ المرتبة ، ونظر بعين العدل والانصاف ، وجانب جانب الاعتساف ، وترفّع عن تقليد أرباب الأغراض الردية ، وأخلص لله النية ، علم يقيناً مزية مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، وتبين له أنها أجلّ مؤلفات العلماء ، كما أنه علاّمة الأعلام . سابقَ الأئمة الكبار ، وجاراهم في ذلك المضمار ، وظهرت للذكي اللبيب صحة أقواله ، لقوة أدلتها ، كالشمس في رابعة النهار ، فأعشت شمس فضائله ، وانتصاره للسنة السنية خفافيش البدع ، وأرباب العناد ، فعاداه لذلك الأغمار ، فتجرد للذبّ عنه ، ونشر فضائله احتساباً ، خلائق من العلماء العاملين ذوي التقوى ، وقوة الايمان واليقين ، فألفوا في ذلك الكتب المستقلة .

فمنها مناقبه للامام ابن عبد الهادي ، ومناقبه للامام الحافظ

سراج الدين البزار، ومناقبه للشيخ الامام شهاب الدين العمري، وكتاب « الحمية الاسلامية في الانتصار لابن تيمية » للامام أبي المظفر يوسف العبادي العقيلي السرمري ، ثم الدمشقي ، ومنها « الرد الوافر » للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي ، ومنها « القول الجلي في ترجمة ابن تيمية الحنبلي » للامام صفي الدين النابلسي ، ومنها « الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية » للعلامة الشيخ مرعي الحنبلي الجليل صاحب « الغاية » و « الدليل » ومنها « جلاء العينين » للعلامة خير الدين الآلوسي رد به الأباطيل التي ذكرت في « الفتاوى الحديثية » وبيَّن بطلانها ، وأنها زور وكذب وبهتان على شيخ الاسلام رضي الله عنه ، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء . ومنها غير ذلك مما يطول ذكره ويصعب حصره .

وأما من أثنى عليه ، ومدحه في أثناء كتب التراجم والطبقات ، فخلق كثير ، وجمٌّ غفير ، لا يحصيهم إلا الذي خلقهم. ورحم الله الامام ابن دقيق العيد ، فلقد أنصف في المقال لما

سئل عن شيخ الاسلام الامام ابن تيمية ، وكان قد اجتمع به ، فقال : رأيت رجلاً ، سائر العلوم بين عينيه ، يأخذ منها ماشاء ، ويدع ما شاء .

وقال العلامة ابن الوردي في « تاريخه » لما ذكر شيخ الاسلام وهو عجيب في استحضاره ، واستخراج الحجج منه ، يعني الحديث : وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة ، و « المسند » بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث . ولكن الاحاطة لله تعالى ، غير أنه يغترف فيه من بحر ، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي .

فتأمل ما في هذه الشهادة من هذا الامام ، لشيخ الاسلام مما يدل على كمال فضله ، وجلالة قدره .

وقال في رحلته لما ذكر علماء دمشق مانصه : وتركت التعصب والحميَّة ، وحضرت مجالس ابن تيمية ، فاذا هو بيت القصيدة ، وأول الخريدة ، علماء زمانه فلك هو قطبه ، وجسم هو قلبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ،

حضرت بين يديه يوماً ، فأصبت المعنى ، وكناني ، وقبّل بين عينيَّ ، وقلت :

إن ابنَ تيميةَ في كل العلوم أو حدُ
أحييتَ دينَ أحمدٍ وشرعهُ يا أحمدُ

ولله در الامام ابن قاضي الجبل الحنبلي فما ألطف قوله وأحسنه :

نبيي أحمدٌ وكذا إمامي وشيخي أحمدٌ كالبحرِ طامي
وإسمي أحمدٌ فلذاك أرجو شفاعةَ سيد الرسلِ الكرام

يعني بقوله : وشيخي أحمد ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، فهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، رحمهم الله تعالى .

وقال أبو الحجاج المزّي ، وهو من أصحاب شيخ الاسلام: ما رأيت مثله ، ولا هو رأى مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه .

وقال الامام العالم العلاّمة شهاب الدين أبو العباس أحمد

ابن فضل الله العمري الشافعي في مرثيته المشهورة التي رثا بها شيخ الاسلام :

ولم يكنْ مثلَه بعد الصحابةِ في
علمٍ عظيم وزُهْد ماله خطَرُ
طريقهُ كان يمْشي قبلَ مشْيته
بها أبو بكرٍ الصدّيقُ أو عمرُ
فردُ المذاهبِ في أقوالِ أربعةٍ
جاؤوا على أثر السُّباق وابْتدروا
لمَّا بنوا قبْلهُ عُليا مذاهبهم بنى وعمَّر منها مثلَ ماعمَروْا
مثل الأئمةِ قد أحيا زمانهمُ كأنه كان فيْهمْ وهو منتظر
إنْ يرفعوهم جميعاً رفعَ مُبتدأٍ
فحقُّه الرَّفع أيضاً إنَّه خبرُ

وقال الامام الحافظ الذهبي في معجم شيوخه لما ذكر شيخ الاسلام رضي الله عنه : وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام : إني ما رأيت بعيني مثله ،

وأنه مارأى هو مثل نفسه ، لما حنثت . ولد رضي الله تعالى عنه في عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ إحدى وستين وستمائة في حران ، وبقي فيها إلى أن بلغ سبع سنين ، ثم بعد ذلك هاجر والده به وباخوته إلى الشام ، فنشأ بدمشق أتم إنشاء وأزكاه ، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه .

وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة ، ودليل العناية واضحة ، وحج سنة ٦٩١هـ إحدى وتسعين وستمائة ، وهي السنة التي فيها الامام ابن القيم تلميذ شيخ الاسلام . وتوفي رضي الله عنه دمشق ليلة الاثنين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين

أمل العاقل المنصف سيرة هذا الامام ، وما جرى
ن والاعتراضات ، وتبيّن له صحة أقواله ،
ا لهم على ذلك الخلاف في العقائد ،
المثبتة ، المتمسكين بعقيدة أهل
ّين عن حماها ، حتى أنشدت

بذلك الأشعار ، فمن ذلك قول بعض الفضلاء :

إنْ كان إثباتُ الصفاتِ جميعها من غيرِ كيفٍ موجباً لومي
وأصير تيميّاً بذلك عندكم فالمسلمون جميعهم تيمي

وبسبب ذلك ألزموه بلوازم هو منها بريء ، كالتجسيم الذي جرت عادة المعطلة النفاة أن يطلقوه على أهل السنة المثبتين للصفات . وكتب الشيخ رضي الله عنه طافحة بانكار هذا اللازم ، فالزامهم إياه باطل .

قال رضي الله عنه في « شرح حديث النزول » في أثناء كلام مفيد : بل الرب سبحانه وتعالى موصوف بالصفات ، وليس جسماً مركباً ، لا من الجواهر المفردة ، ولا من المادة والصورة.

قلت : الأول ، قول أهل الكلام المبتدع ، والثاني : قول الفلاسفة .

ويعني بالمادة : الهيولى بزعمهم .

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب : فالجسم في اللغة هو البدن ، والله منزه عن ذلك .

وقال رحمه الله في « الرسالة المدنية » بعد كلام منهم ما نصه: فانَّ أقصى ما يذكره المتكلم، يعني في نفي الصفات الخبرية (قل هو الله أحد) وقوله : (ليس كمثله شيء) الشورى :١١ وقوله تعالى: (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ . وهؤلاء الآيات إنما تدل على انتفاء التجسيم والتشبيه انتهى .

فقد صرح رضي الله عنه في نفي التجسيم ، وأن القرآن يدل على انتفائه ، فهل بعد هذا البيان حجة لمبطل ؟ !

وقال رحمه الله تعالى في تفسير سورة (الاخلاص) أما القول بأن سبحانه مركب مؤلف من أجزاء ، وأنه يقبل التجزؤ والانقسام والانفصال ، فهذا باطل شرعاً وعقلاً . انتهى فتأمله .

وصرح رضي الله عنه وغيره في رده على النصارى بتكفير المجسمة .

وقال في « الرسالة المدنيـة » : لا يختلف أهل السنة أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفّرون المشبهة والمجسمة . انتهى .

فهذه نصوص شيخ الاسلام رضي الله عنه صريحة في نفي ذلك اللازم المذموم ، فهل يليق بعاقل نسبته إليه مع تصريحه ببطلانه ؟! ولكنه داء الأمم قد دب فيهم ، نعوذ بالله من الخذلان ..

تتمة: كان شيخ الاسلام رضي الله عنه يكره إطلاق الألفاظ المبتدعة ، فلذلك ظن من لم يمارس كتبه أنه يقول بخلاف مذهب أهل السنة ، وحاشاه مما رماه به اعداؤه ، ولله دره ، روح الله روحه ، ورضي عنه حيث قال في وصف الناقمين عليه ، وأحسن في المقال :

لولم تكن لي في القلوب مهابةٌ ... لم يطعن الأعداءُ فيَّ ويقدحوا

كالليث لما هيب خطَّ له الرُّبى ... وعوت لهيبته الكلاب النبَّحُ

يرموني شزر العيونِ لأنني ... غلَّست في طلب المعالي وصبَّحوا

ولقد اقتديت به رضي الله تعالى عنه في الاعراض عن الجاهلين المعتدين المحرِّفين الحاسدين حيث وقعت لي عبارة في « الكواكب » في شأن المهدي المنتظر ، فهم منها بعض الناس أني أنكر مجيئه ، وهذا غلط أو تحامل ، فاني لا أنكر مجيئه ،

ولـكني أقول : إن جميع الأحاديث التي فيها ذكر المهدي ضعاف على كثرتها مع أنها معارضة بمثلها[1] .

ومن المقرر عند علماء الآثار أن الحديث الضعيف لا يوجب العمل ، فضلاً عن وجوب الاعتقاد بمدلوله ، وإنما تنازعوا : هل يجوز العمل بالحديث الضعيف ، أو لا ؟

فقال الامام أبو بكر ابن العربي شارح « سنن الترمذي » : لا يجوز مطلقاً .

وقال غيره : يجوز في فضائل الاعمـال ، واشترطوا لذلك شروطـاً .

منها أن لا يعتقد عند العمل ثبوتـه ، لئلا يُنسب إلى النبي ﷺ . وإلى هذا ذهب العز بن عبد السلام ، وابن دقيق العيد ، كما نقله عنهما الحافظ ابن حجر ، ونقله عنه تلميذه السخاوي في « القول البديع » ، قاله الشبرخيتي في « شرح الأربعين النووية » وبسط

---

(١) للعلماء الأفاضل من أئمة أهل الحديث كلام في إثبات صحة أو حسن بعض الأحاديث الـتي وردت في شأن المهـدي ، انظر « مشكاة المصابيح » ج /٣/ ٢٤ طبع المكتب الاسلامي .

الكلام في هذا البحث بسطاً مفيداً ، والحق ضالة المؤمن أين ما وجده التقطه .

وقال الامام موفق الدين بن قدامة في كتاب « ذم التأويل » والأحاديث الضعيفة ، إما لضعف رواتها ، أو جهالتهم ، أو لعلة فيها ، فلا يجوز أن يقال بها ، ولا اعتقاد ما فيها ، بل وجودها كعدمها . انتهى .

وإذا كان هذا في الصفات التي يكون منكرها على خطر عظيم ، فكيف بما نحن فيه ؟! على أني لا أنكر مجيء المهدي ، ولكني أقول : لا يجب اعتقاد مجيئه ، لما سمعت[1] ، والله أعلم .

★ ★ ★

(١) قوله لما سمعت، يعني من كلام العلماء في مدلول الاحاديث الضعيفة، وأنها لا توجب العمل، فضلاً عن الاعتقاد، مع أنهم صرحوا في وجوب العمل بالأحاديث الصحيحة الاسناد دون غيرها اتفاقاً ، فليحفظ .

فصل

في ذكر كتاب كتبه بعض العلماء لأحد تلامذة شيخ الاسلام رضي الله تعالى عنه

ولما كنت في بغداد ، رأيت مكتوباً عند بعض الفضلاء أرسله بعض علماء الشافعية المعاصرين لشيخ الاسلام لأحد تلامذة الشيخ ، رحمهم الله تعالى ، ثم رأيت شيخنا نقله في كتابه « غاية الأماني » ونحن ننقله هنا عن « غاية الأماني » .

قال مصنفه أمدنا الله بحياته : وقد رأيت كتاباً كتب على ظهر ترجمة شيخ الاسلام ، وبيان مناقبه ، وهي « الدرر البهية في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية » للحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي المقدسي ، وذلك الكتاب أرسله بعض أفاضل العراق المعاصرين لشيخ الاسلام ؛ وكان من أكابر الشافعية ، وهو العلامة الشيخ عبد الله بن حامد ، وهذا كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أصغر العباد عبد الله بن حامد إلى الشيخ الامام العالم العامل ، قدوة الأفاضل والمحافل ،

المحامي عن دين الله ، والذابّ عن سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، المعتصم بحبل الله ، الشيخ المكرّم المبجّل أبي عبد الله أسبغ الله عليه نعمه ، وأيد باصابة الصواب لسانه وقلمه ، وجمع له بين السعادتين ، ورفع درجته في الدارين ، بمنه ورحمته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ثم وافاني كتابك ، وأنا إليك بالأشواق ، ولم أزل سائلاً ومستخبراً الصادر والوارد عن الأنباء التي طاب مسموعها ، وسر ما يسرّ منها ، وما تأخّر كتابي عنك هذه المدة مللاً ولا خللاً بالمودة ، ولا تهاوناً بحقوق الإخاء ، حاشا أن يشوب الأخوّة في الله جفاءٌ ، ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الامام ، إمام الدنيا رضي الله تعالى عنه ، بالاسترواح إلى أخبار تلامذته وإخوانه ، وأقاربه وعشيرته ، والخصّيصين به ، لما في نفسي من المحبة الضرورية التي لا يدفعها شيء على الخصوص . لما اطّلعت على مباحثه واستدلالاته

التي تزلزل أركان المبطلين ، ولا يثبت في ميدانها سفسطة المتفلسفين ، ولا يقف في حلباتها أقدام المبتدعين من المتكلمين.

وكنت قبل وقوفي على مباحث إمام الدنيا رحمه الله قد طالعت مصنفات المتقدمين ، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الاسلام ، فرأيت فيها الزخارف والأباطيل ، والشكوك التي يأنف المسلم الضعيف في الاسلام أن يخطر بباله فضلاً عن القويّ في الدين ، فكان يتعب قلبي ، ويحزنني ما يصير إليه الأعاظم من المقالات السخيفة ، والآراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد الأمّة ، وكنت أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الامام أحمد رحمه الله على الخصوص ، لاشتهارهم بمنصوصات إمامهم في أصول العقائد ، فلا أجد عندهم ما يكفي ، وكنت أراهم يتناقضون ، إذ يؤصّلون أُصولاً يلزم فيها ضد ما يعتقدونه ، ويعتقدون خلاف مقتضى أدلّتهم ، فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية ، وحنابلة بغداد ، وكرّامية خراسان ، أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على

ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسوؤني ذلك ، وأظلّ أحزن حزناً لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ، حتى قاسيت من مكابدتي هذه الأمور شيئاً عظيماً ، لا أستطيع شرح أيسره ، وكنت ألتجىء إلى الله سبحانه وتعالى ، وأتضرع إليه ، وأهرب إلى ظواهر النصوص، وألقى المعقولات المتباينة ، والتأويلات المصنوعة ،لنبوّ الفطرة عن قبولها ، ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أُمهات المسائل ، غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولاً ، وتصحيحاً للعقد ، حيث لا أراه مأثوراً عن الأئمة وقدماء السلف ، إلى أن قدر الله سبحانه وتعالى وقوع تصنيف الشيخ الامام إمام الدنيا في يدي قبيل وقعته الأخيرة بقليل ، فوجدت فيه ما بهرني في موافقة فطرتي ، لما فيه من عزو الحق إلى أئمة السنة ، وسلف الأمة ، مع مطابقة المعقول والمنقول ، فبُهتُّ لذلك سروراً بالحق ، وفرحاً بوجود الضالّة التي ليس لفقدها عوض ، فصارت محبة هذا الرجل رحمه الله محبة ضرورية ، تقصر عن شرح أقلّها العبارة ولو أطنبت .

ولما عزمت على المهاجرة إلى لقياه، وصلني خبر اعتقاله، وأصابني لذلك المقيم المقعد. ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، صمَّمت العزم على السفر إلى دمشق لأتوصل إلى ملاقاته ببذل ما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه، فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع إلى العراق قبيل وصولي إلى الكوفة، فوجدت عليه ما لا يجد الأخ على شقيقه ـ وأستغفر الله ـ بل ولا الوالد الثاكل على ولده، وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والإخوان، كما وجدته عليه رحمه الله تعالى، ولا تخيلته قط في نفسي، ولا تمثلته في قلبي، إلا ويتجدَّد لي حزن جديد، كأنه محدث.

ووالله ما كتبتها إلا وأدمعي تتساقط عند ذكره أسفاً على فراقه، وعدم ملاقاته، فانا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ رحمه الله تعالى إلا ليتحقق بُعدي عن تلك الوهوم، لكن لما سبق الوعد الكريم

منكم بانفاذ فهرس مصنفات الشيخ رضي الله تعالى عنه ، وتأخر ذلك عني ، اعتقدت أن الاضراب عن ذلك نوع تقيَّة، أو لعذر لا يسعني السؤال عنه ، فسكتُّ عن الطلب خشية أن يلحق أحداً ضررٌ ـ والعياذ بالله ـ بسببي ، لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال ، فان أنعمتم بشيء من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى ، كانت لكم الحسنة عند الله علينا بذلك . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفّى .

وقد يقع في كلام غيره من الغش والشبه المدلّس بالتبر على ما لا يخفى على صالب الحق بحرص ولا عدم هوى ، ولا أزال أتعجب من المنتسبين إلى حبِّ الانصاف في البحث ، المبرِّزين على أهل التقليد ، أن المعقولات التي يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها كيف يباينون ما أوضحه الحق ، وكشف عن قناعه .

وقد كان الواجب على الطلبة شدّ الرحال إليه من الآفاق ليروا العجب ، وما أشبه حال المباينين له من المنتسبين للعلم ،

الطالبين للحق الصريح الذي أعياهم وجدانه ، بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ في بعض المفازات ، فحين أشرفوا على التلف ، لمع لهم شط كالفرات أو دجلة أو كالنيل ، فعند معاينتهم لذلك اعتقدوه سراباً لا شراباً ، فتولوا عنه مدبرين ، فتقطعت أعناقهم عطشاً وظمأً ، فالحكم لله العليِّ الكبير .

وما أرسلنا المقابلة من الطرفين ، ففيه تعسُّف ، وتمهدون العذر في الإطناب .

فهذا الذي ذكرته من حالي مع الشيخ ، كالقطرة من البحر ، وإن أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه كبيرهم وصغيرهم ، كان ذلك مضافاً إلى سابق إنعامكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأنتم في أمان الله تعالى ورعايته ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الله بن حامد

فـاذا تأمل الفاضـل المنصف وصف كتب شيـخ الاسلام بهذا الكتاب ، علم صدق ما قاله بعض الأئمة من أنَّ الانسان لا يستطيع أن يعرف الاعتقاد الصحيح الواجب اعتقاده إلا بقراءة كتب ابن تيمية ، لسلامتها من البدع والتناقض ، فرحمه الله ، ورضي عنه .

وما ذكرنا هذا الكتاب إلا إرشاداً للطلاب إلى معرفـة قدر كتب شيـخ الاسلام ، حيث أن موضوع كتابنا هـذا هو النصيحة والإرشاد إلى طلب العلم ، وبيان أسباب تحصيله ، وآدابه، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

* * *

خاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

قد أكثر العلماء العاملون ، والأئمة المتقون، من إرشاد العباد إلى مافيه لهم خير الدنيا والآخرة ، وهو تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، وقد وصّى الله تعالى جميع عباده بالتقوى ، ووصّى بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمته ، فحفظ العلماء والأئمة وصية الله تعالى ، ووصية رسوله ﷺ ، فراقبوا الله تعالى ، وأمروا بخشيته ، وحذروا الاغترار بسطوته ، كما قال الامام الدلجي : فلا تغترّ بالتستر والحيلة ، فان لله عيوناً من الملكوت ناظرة إليك ، وإن للطاعات عبقاً وشذاً تفوح على أهلها وإن كتموها ، وللمعاصي نتناً وذفراً تفوح على أهلها وإن أخفوها ، وإذا نزعت عن الغواية ، فليكن لله ذلك النزع لا للناس ، وكن توّاباً رجّاعاً ، أوّاباً إلى الله ، عظيم الالتجاء إليه ، والاستعانة بقوته ، وباهر قدرته ، متملّقاً له ، خاضعاً لجلاله ، وكن كثير الدعاء والالظاظ بأسمائه ، تعالى وله الحمد ، فان

الدعاء نسبته إلى استجلاب المطالب كنسبة الفكر إلى استدعاء المطلوب العلمي .

قال ﷺ : « أَلِظُّوا بـ: ياذا الجلال والإكرام »[1] .

قال سبحانه وتعالى: (قل ما يعبأُ بكم ربي لولا دعاؤكم) الفرقان: ٧٧

وقال الامام النووي رحمه الله تعالى في بيان الوصول إلى الله تعالى: وهو بالتوبة من جميع المحرمات والمكروهات، وطلب العلم بقدر الحاجة إليه ، والملازمة على الطهارة ، وأداء الفرائض والرواتب في أول وقتها جماعة ، وملازمة ثمان ركعات الضحى .

قلت: وعندنا تسن صلاة الضحى غبًّا ، وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان . وست ركعات بين المغرب والعشاء ، وصلاة الليل ، والوتر ، وصوم الاثنين والخميس ، وثلاثة الأيام البيض ، والأيام الفاضلة ، وتلاوة القرآن بالحضور والتدبر ، والإكثار من الاستغفار ،

---

(١) رواه الترمذي عن أنس بن مالك وحسنه ، ورواه أحمد في « المسند » والنسائي والحاكم عن ربيعة بن عامر ، وقال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي .

والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وملازمة أذكار السنة صباحاً ومساءً .

ومنها : « اللهم بك نُصبح وبك نُمسي ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور » صباحاً و « المصير » مساءً .

« أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، والكبرياء لله ، والعظمة لله ، والخلق والأمر والليل والنهار وما سكن فيهما لله ، اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » ثلاثاً .

« اللهم إني أصبحت أُشْهِدُك وأُشْهِدُ حملةَ عرشِكَ وملائكتك وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك » أربعاً .

« رضيت بالله تعالى رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً » ثلاثاً .

(آمن الرسول بما أُنزلَ إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحدٍ من رسله وقالوا

سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير . لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبَتْ وعليها ما اكْتَسبَتْ ربَّنا لاتؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تحْمِلْ علينا إصْراً كما حملتَه على الذين من قبْلِنا ربَّناولاتُحمّلنا ما لاطاقة لنا به واعْفُ عنَّا واغفِر لنا وارْحمنا أنت مولانافانصرْنا على القومِ الكافرين) البقرة :٢٨٥-٢٨٦

(فان تولَّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)التوبة :١٢٩ سبعاً .

(فسبحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيّاً وحين تظهرون . يُخرج الحيَّ من الميّت ويُخرج الميّت من الحي ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) الروم : ١٧ - ١٩ .

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثلاثاً .

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ...) إلى آخر سورة الحشر .

و « الاخلاص » و « المعوذتين » ثلاثاً .

« بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » ثلاثاً .

أعوذ بكلمات الله التامات ، من غضبه وعقابه ، وشرّ عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » ثلاثاً .

« أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه » ثلاثاً .

« سبحان الله وبحمده ثلاثاً ، سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » . ثلاثاً .

وإذا اتسع الوقت ، فقل : «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » مائة مرة ، و « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» كذلك مائة مرة « لا إله إلا الله الملك الحق المبين» كذلك مائة مرة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لهُ الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » كذلك مائة مرة ، أو ثلاثاً .

« اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم» ثلاثاً ، أو كذلك مائة مرة .

قال الامام النووي رحمه الله بعد أن ذكر ذلك : وفي هذا القدر كفاية لذوي العناية ، والله الموفق للهداية ، وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبعهم إلى يوم الدين ، وقد وقع الفراغ من تأليف هذه الرسالة المفيدة إن شاء الله تعالى بعد العصر من يوم الاثنين الموافق ثلاثاً وعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ ست وثلاثين وثلاثمائة وألف في المدرسة الأثرية المنشأة في بلد الدوحة من بلدان قطر على يد مؤلفها الفقير إلى عفو ربه محمد بن عبد العزيز المانع ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه آمين .

تقريظ

إرشاد الطلاب والاشارة إلى جلالة مصنفات مؤلفه الفاضل الجليل ، ونبذة من سيرة مؤلفه .

بقلم الشاب النجيب الفائز من البلاغة بأوفر الحظ والنصيب محمد بن ابراهيم بن صالح الباكر حفظه الله تعالى .

الحمد لله الذي رفع بالعلم منازل الأبرار ، وميز بالعمل الصالح مراتب السادة الأخيار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، إله على عرشه المجيد استوى ، وعلى ملكه العظيم احتوى .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وحبيبه وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار ، الذين هم إلى الحق دعاة وللخير قادة أبرار .

أما بعد : فلما وقفت على كتاب « إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب » وجدته كتاباً تكون من ألفاظ عذاب ، ومواهب لاتنال بيد الاكتساب .

ولقد أعجبني ما رأيته من حسن ترتيبه ، وما احتوى عليه

من براعته وتقريبه ، يجمل بذوي النفوس الزكية الإمعان فيه ، والعمل بما تضمنه وانطوى عليه ، يشهد لمؤلفه بحسن الاختيار ، وأنه من أرباب التأمل والاعتبار ، فلذلك جمع هذا الكتاب الجليل على صغر حجمه مايعجب كل فاضل نبيل .

وقد طالعت غيره من مؤلفاته الجليلة ، فوجدتها بحسن السبك ، وكثرة الفوائد كفيلة ، كيف لا وهي نتائج فكر من أرضعته العلوم دَرَّ أخلافها ، فأنس بها ولم يرض بخلافها ، زين المحافل ، وفخر الأفاضل ، كوكب المجد الساطع ، الشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز المانع ، رفع الله قدره ، وأطلع في سماء الفضائل بدره ، ولا زال ملجأً للطالبين ، ومنهلاً زلالاً للمستفيدين .

ولقد أجاد بعض علماء بغداد الأمجاد حيث قال لما رآى بعض مؤلفات الشيخ النحوية [1] :

---

(١) الكتاب المشار إليه هو « شرح شواهد شرح القطر» في قريب من عشرين كراساً ؛ مشى فيه المؤلف على طريقة عبد القادر البغدادي في شرح شواهد « الكافية » وفرغ من تأليفه سنة ١٣٢٦ هـ في بغداد أيام مجاورته فيها لطلب العلم . وقد أقام فيها أزيد من تسع سنوات .

درر قدْ نثرتها أم دراري نيّرات لها بديع نثار
أم لآل قرنتها بجمان أم عقود رصعتها بنضار

ومنها :

لو رأى بعض ما حوى ابن هشام
قال مهلاً هشمت أنف افتخار

أو رأى ما نظرت فيه ابن معطي
قال جاد ابن مانع بنضار

عمرك الله هل أتيت بسحرٍ أم بسفر سما على الأسفار
صغت من لفظك البديع حلياً لمعاني علومك الأبكار
دمت يا من سما بفضل وعلم
فوقَ هامِ السُّها مدى الأعصار

ولما دعي إلى بلدنا ، ولبى الداعي ، عهد إليه بالوظائف الدينية ، والمراتب الشريفة السنية ، مثل القضاء والافتاء ، والوعظ والامامة في الجمعة ، والخطابة في الجامع الكبير ، وبنيت المدرسة الأثرية ، وعين مدرساً فيها ، وشكر الفضلاء مسعاه ، وحمدوا

سيرته ومنحاه ، فعمّر ربوع العلم ، وأشاد صروح الفهم ، وأثنى عليه من طاب خيمُه ، وسلم من داء الحسد أديمه . فمن ذلك قصيدة اشتملت على فوائد جميلة ، نظمها ذو الفضل الراسخ ، والشرف الشامخ ، ذو الفصاحة والبيان ، الشاعر المجيد أحمد بن ملا عبد الرحمن ، وهي طويلة نقتطف منها قوله :

فلا بالأماني حصّل المرء رفعة ولا جاء كسلاناً مناه ولا الحمد
فان رمت نيل العزّ أو نيل رتبة هلمّ لمغنى الشيخ يحلو لك المجد
تجد كرماً من كلّ شيء أردته لدينك والدنيا ويبدو لك السعد
ففي قطر لاحت كواكب سعده
وجاء بعلم فاض من بحره الرشد
هو العلم الهادي لشرعة أحمد به يهتدي من كان في قلبه حقد
ولو عدَّدُوا أهل العلوم بكثرة فهذا لعمر الله في عصرنا فرد

ومنها :

هلموا سِراعاً نحو دَرْسِ محمد بحضره يزداد من فضلكم عد
وعبد العزيز الوارث المجد ذو الحمى
أبوه وأين المجد من مانعٍ يغدو ؟

تسلسل فرعاً من كرام أماجد ... وصفتهم للمجد قال أنا العبد

حبيب إلى الطلاب من بركاته ... بنو قطر بالعلم ألسُنهم لدُّ

سليم لسان لا يميل لجاهل ... وحاشاه إلا بالصواب له الرد

ومن كان قبلاً فيه جهل وريبة ... تبين بعد الشك إيقانه يبدو

فبان لنا علم شذاه ونوره ... أضاء بأفق المكرمات له ندُّ

ودان له من كان للناس محنة ... دهاه بعلم زانه الحلم والزهد

﴿ تمت الرسالة الأولى بحمد الله تعالى ﴾

* * *

الرسالة الثانية

إقامة الدليل والبرهان

على تحريم أخذ الأجر

على تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي فوق مخلوقاته ، الذي استوى على عرشه العظيم بذاته ، المتكلم بالقرآن الكريم ، المنزَّل على النبي المصطفى الرحيم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن اتبعهم متمسكاً بسيرتهم سالكاً الصراط المستبين .

أما بعد : فقد سألني بعض الفضلاء ، عن حكم الاجارة على تلاوة القرآن .

فأجبته بما قام عليه الدليل ، وقال به كل فاضل جليل . ثم طلب مني الزيادة على ذلك الجواب ، وبسط القول حتى لا يبقى أقل شبهة ولا ارتياب ، فأجبته إلى ما سأل ، راجياً الثواب من الله عز وجل .

وهذا نص السؤال :

ما قول العلماء الأعلام ، وحملة شريعة سيد الأنام ،

في حكم الإجارة على تلاوة القرآن ؟.

وهل يستحق الأجير الأجرة على ذلك ؟ .

وهل لقراءته ثواب يهدى لأحد من المسلمين حياً كان ، أو ميتاً ؟.

وهل يصل ثواب قراءة القرآن إلى الميت مطلقاً سواء كان بأجرة أم لا ؟. أفيدونا مأجورين .

الجواب :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباد الذين اصطفى .

الإجارة على تلاوة القرآن باطلة ، والآخذ والمعطي آثمان ، وهو من أكل الأموال بالباطل الذي نهى عنه سبحانه وتعالى في محكم كتابه بقوله : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) البقرة:١٨٨. يبين ذلك أن الإجارة على التلاوة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ » أي : مردود عليه .

والتالي بالأجرة ليس معه على جواز فعله دليل ؛ لا من الكتاب ، ولا من السنة ، بل عمله مناف للاخلاص الذي هو شرط لصحة الأعمال وقبولها عند الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى : (وما أُمروا إلا ليعْبدوا الله مُخلِصينَ له الدّين) البينة : ٥ وقال تعالى : (لِيبلُوكم أيكم أحسنُ عملاً) هود : ٧ ، والملك : ٤ قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه ؛ فان العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وكذا إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، فلا بد في العمل ، أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى ، صواباً على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن المعلوم أن التالي بالأجرة ، عمله ليس خالصاً لله ، لأنه قصد به المال ، ولا صواباً ، لأن التلاوة بالأجرة بدعة منكرة .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : « قال الله سبحانه وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عَمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتهُ وشركه » وفي رواية ابن ماجه « فأنا منه بريء »

وروى الامام أحمد والنسائي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : « من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله مانوى » .

قلت : وكذلك التالي بالأجرة له مانوى من الدنيا ، وليس له ثواب يهديه لأحد من المسلمين لا حيٍّ ولا ميت .

ونحن نذكر بعض الأحاديث الدالّة على بطلان الإجارة على التلاوة ، ثم نتبعها بشيء من كلام العلماء الأعلام ، فنقول : روى الامام أحمد ، عن عبد الرحمن بن شبل ، عن النبي ﷺ أنه قال : « اقرؤوا القرآن ولا تغلُوا فيه ، ولا تجفوا عنهُ ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به »[1] والغلو : التشديد ومجاوزة الحد . قال ابن الأثير عند ذكره حديث « وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه »[2] إنما قال ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها ، القصد في الأمور ، وخير الأمور أوساطها .

---

(١) ورواه أبو يعلى والطبراني أيضاً . قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات. وقال ابن حجر في « الفتح » إسناده قوي .

(٢) رواه أبو داود في « سننه » عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ولفظه « إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » وهو حديث حسن .

وقوله : « ولا تجفوا عنه » قال في « النهاية » أي : تعاهدوه، ولا تبعدوا عن تلاوته .

وروى الامام أحمد أيضاً والترمذي ، عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (اقرؤوا القرآن واسألوا الله به ، فان من بعدكم قوماً يقرؤون القرآن يسألون به الناس» .

وروى ابن ماجه عن عبادة بن الصامت قال: علّمت رجلاً القرآن فأهدى لي قوساً ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « إن أخذتها أخذت قوساً من النار » فرددتها . فاذا كان هذا في التعليم الذي تدعو إليه الضرورة الدينية ، ولا يقوم الدين غالباً إلا به ، فكيف بالتلاوة المجردة التي هي عبادة بدنية محضة ؟ !

وروى أبوداود عن جابر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي . فقال : «اقرؤوا فكل حسن،وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القِدْح يتعجّلونه

ولا يتأجّلونه » — والقدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل . قاله في « القاموس » . وقال في « النهاية » . يقال للسهم أول ما يقطع : قطع ، ثم ينحت ويبرى فيسمى : بريا ، ثم يقوم فيسمى : قدحاً ، ثم يراش ويركب نصله فيسمى : سهماً . ومعنى الحديث أنهم يقيمون حروف القرآن ، ولكنهم يضيعون حدوده ، ويتعجلون أجره في الدنيا ، ولا يتأجّلون الثواب عند الله يوم القيامة .

وروى أبو داود أيضاً . عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : « اقرؤوهُ قبلَ أن يقرأه قومٌ يقيمونه كما يقام السهم ، يتعجّلون أجره ولا يتأجّلونه » والسهم : هو الذي يُرمى به عن القوس كما في « النهاية » .

وروى البيهقي في « شعب الإيمان » عن بريدة ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « من قرأ القرآن يتأكّلُ به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظمٌ ليس عليه لحم » .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، لو ذهبنا ننقلها لاحتاج ذلك إلى كتاب كبير ، وإنما المقصود تنبيه النبيه ، الخائف على

دينه ، القاصد بأعماله وجه الله تعالى .

وأما أقوال العلماء الدالّة على بطلان الإجارة على التلاوة ، فأشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر ، امتلأت منها بطون الدفاتر ، وعرفها من وفّقه الله من ذوي البصائر ، وإليك قطرة من فيض بحر ، ودرّة من عقد نحر .

قال العلامة الحجاوي في « الإقناع » — من كتب الحنابلة : ويحرم ولا تصح إجارة على عمل يختص فاعله أن يكون من أهل القربة ، وهو المسلم . ولا يقع إلا قربة لفاعله ، كالحج ، والعمرة ، والأذان ونحوها ، كاقامة ، وإمامة ، وصلاة ، وتعليم قرآن ، وفقه ، وحديث ، وكذا قاله ابن حمدان .

قلت : والتلاوة يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة فلا تصح الإجارة عليها ، لأن الكافر يمنع من شراء المصحف ، وقراءة القرآن .

وقال الامام البركوي في كتابه « الطريقة المحمدية » في الفصل الثالث ، في أمور مبتدعة وباطلة ، أكب الناس عليها

على ظن أنها قرب مقصودة . . . إلى أن قال : ومنها الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده ، وباعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه ، أو يسبح أو يهلل له ، وكلها بدع منكرة باطلة ، والمأخوذ منها حرام للآخذ ، وهو عاصٍ بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا . انتهى ملخصاً .

وقال الامام العلامة العيني شارح « البخاري » : ويمنع القارىء للدنيا ، والآخذ والمعطي آثمان .

وقال تاج الشريعة في « شرح الهداية » — من كتب الحنفية — : إن القرآن بالأجرة لا يستحق الثواب ، لا للميت ، ولا للقارىء .

وقال العلامة خير الدين الرملي : المفتى به جواز الأخذ استحساناً على تعليم القرآن ، لا على القراءة المجردة ، والإجارة في ذلك باطلة ، وهي بدعة لم يفعلها أحد من الخلفاء .

وقال الامام ابو الحسن البعلي في « اختيارات شيخ الاسلام » : ابن تيمية رحمه الله : ولا يصح الاستئجار على القراءة وإهدائها

إلى الميت ، لأنه لم يُنقل عن أحد من الأئمة الإذن في ذلك .

وقد قال العلماء : إن القارىء إذا قرأ لأجل المال ، فلا ثواب له . فأي شيء يهدى إلى الميت ؟ وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح . والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة ، وإنما تنازعوا في الاستئجار على التعليم ، ولا بأس بأخذ الأجرة على الرقية . ونص عليه الامام احمد رحمه الله .

قلت : فتأمل قول شيخ الاسلام : والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة ، مع سعة اطلاعه ، وإحاطته بأقوال العلماء ؛ يتبين لك بطلان الإجارة على التلاوة ، ومن أجاز ذلك، فيطلب منه الدليل من الكتاب والسنة .

وأما ما رواه البخاري عن ابن عباس ، أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيهم لديغ - أو سليم - فعرض لهم رجل من أهل الماء ، فقال : هل فيكم من راق ؟ إن في الماء رجلاً لديغاً - أو سليماً - فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء ، فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه ، فكرهوا ذلك ،

وقالوا : أخذتَ على كتاب الله أجراً ؟! حتى قدموا المدينة فقالوا : يارسول الله : أخذ على كتاب الله أجراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» .

فلم يقل أحد من الأئمة : إنه يدل على جواز أخذ الأجرة على مجرد التلاوة . وإنما استدل به بعضهم على جواز أخذها على التعليم .

وقد ادعى جماعة من العلماء أنه منسوخ بالأحاديث الواردة في الوعيد على أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، كما في « عون الباري لحل أدلة البخاري » وبعضهم استدل به على أخذ الأجرة على الرقية فقط . وقال : الأخذ ليس على مجرد التلاوة ، وإنما هو على المعالجة والمداواة .

ولهذا قال الامام البغوي في « شرح السنة » لما ذكر هذا الحديث : وفيه دليل على جواز الرقية بالقرآن ، وبذكر الله ، وأخذ الأجرة عليه ، لأن القراءة والنفث من الأفعال

المباحة ، وفيه إباحة أجر الطبيب والمعالج ، فجعل المأخوذ على المعالجة ، لا على مجرد التلاوة .

وظاهر كلام شيخ الاسلام يدل على ما ذكرناه ، والله أعلم. فتبين أن الإجارة على مجرد التلاوة باطلة ، وأن الأجير لا يستحق أجراً ، وليس له ثواب يهديه لأحد من المسلمين ، لا حي ، ولا ميت .

وينبغي أن يعلم أن كلامنا في التلاوة لا غيرها من سائر القرب ، ولا تقاس على غيرها ، لوجود الأدلة الدالّة على تحريمها بأجرة .

وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى : لا قياس مع النص ، ولا إشكال أنه ما أفسد الدين شيء مثل القياسات الفاسدة ، والتأويلات الباطلة .

إذا تقرر ما تقدم ، فقد اختلف العلماء في ثواب أعمال البر ، ما عدا التلاوة بأجرة ، هل يصل إلى الأموات ، أم لا ؟ فذهب جماعة إلى أنه لا يصل إليه شيء ، مستدلين بعموم قوله تعالى :

(وأنْ ليسَ للانسانِ إلا ما سعى) النجم : ٣٩ .

وذهب جمهور العلماء إلى أنه يصل مستدلين بما لا يحصى من أدلّة الكتاب والسنة . وهو الحق الذي نعتقده ، ونقول به .

قال الامام أحمد : الميت يصل إليه كل شيء من الخير ، للنصوص الواردة فيه .

وقال في « الاقناع » : وكل قربة فعلها المسلم ، وجعل ثوابها أو بعضها ، كالنصف ونحوه ، لمسلم حي أو ميت ، جاز ونفعه ، لحصول الثواب له . قال : واعتبر بعضهم إذا نواه حال الفعل أو قبله . وقال في « شرح الاقناع » قال الأكثر : لا يصل إلى الميت ثواب القراءة ، وأن ذلك لفاعله .

قلت : وهذا مذهب الشافعي إذا كان بلا أجرة . وأما بها ، فلا يصل على قول الجمهور كما سيأتي .

ومما استدل به الجمهور على وصول ثواب الصدقة إلى الميت ، ما رواه البخاري ، عن ابن عباس ، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إن أمي توفيت ، أينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : « نعم »

وكذلك الحديث الذي في « الصحيحين » عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إن أمي افتُلتتْ نفسها ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : « نعم » .

فهذان الحديثان ، دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت، ويصله ثوابها .

قال الامام الخازن : وهو إجماع العلماء . قال : وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء ، وقضاء الدين ، للنصوص الواردة في ذلك . قال : واختلف العلماء في الرجل إذا مات وعليه صوم ، فالراجح جوازه عنه ، للأحاديث الصحيحة فيه .

وأما الصلوات ، وسائر التطوعات ، فلا يصله عند الشافعي ، والجمهور .

وقال أحمد : يصله ثواب الجميع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال في « نيل الأوطار » : قال في « شرح الكنز » :

إن للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره ، صلاةً كان ، أو صوماً ، أو حجاً ، أو صدقة ، أو قراءة قرآن ، أو غير ذلك ، من جميع أنواع البرّ ، ويصل ذلك إلى الميت ، وينفعه عند أهل السنة . انتهى .

قلت : ولا بد من ملاحظة ما تقدم من التفصيل ، لاسيما ماحكاه في « شرح الاقناع » عن الأكثر ، من عدم وصول القراءة إلى الميت .

وقال في « نيل الأوطار » أيضاً : والمشهور من مذهب الشافعي ، وجماعة من أصحابه ، أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن .

وذهب الامام أحمد ، وجماعة من العلماء ، وجماعة من أصحاب الشافعي ، إلى أنه يصل ، قاله النووي في « الأذكار » فقد حكى النووي ، إمام الشافعية في عصره وما بعده : أن مشهور مذهب الامام الشافعي ، عدم وصول ثواب قراءة القرآن إلى الميت .

وقال في « شرح صحيح مسلم » في باب وصول الصدقة عن الميت إليه ما نصه : والمشهور في مذهبنا ـ يعني الشافعية ـ أن قراءة القرآن ، لا يصله ثوابها .

وفي « شرح المنهاج » لابن النحوي ، لا يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءه على المشهور .

وقال الإمام الخازن الشافعي في تفسير سورة (النجم) : والمشهور من مذهب الشافعي ، أن قراءة القرآن ، لا يصله ثوابها ،

وقال جماعة من أصحابه : يصله ثوابها .

فهذه نصوص علماء الشافعية في حكاية مذهبهم ، أن ثواب قراءة القرآن لا يصل إلى الميت ، هذا إذا كان بلا اجرة ، وأما بها ، فلا يصل على قول جمهور العلماء ، وليس للقارىء ثواب كما تقدم ، والمأخوذ على ذلك حرام ، وآخذه داخل تحت قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنو إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدُّونَ عن سبيلِ الله)

التوبة : ٣٤ . ومما يزيد المقام اتضاحاً ، والباطل افتضاحاً ، ما ذكره العلامة السيد نعمان الآلوسي في « جلاء العينين » حيث قال بعد كلام سبق : هل للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره ، أم لا ؟ فأهل السنة على الأول ، والمعتزلة على الثاني . لكن استثنى مالك ، والشافعي ، العبادات البدنية المحضة ، كالصلاة ، والتلاوة ، فلا يصل ثوابها إلى الميت عندهما ، بخلاف غيرها ، وهو المشهور عن الشافعي .

والذي حرَّره المتأخرون من الشافعية ، وصول القراءة للميت إذا كان بحضرته ، أو دعا له عقبها ، ولو غائباً ، لأن في محل القراءة تنزل الرحمة والبركة ، والدعاء عقبها أرجى للقبول . ومقتضاه أن المراد انتفاع الميت بالقراءة ، لا حصول ثوابها له .

وأما عندنا ، فالواصل إليه نفس الثواب ، وهذا إذا لم تكن القراءة بالأجرة ، وأما إذا كانت بالأجرة ، فلا تجوز على قول الجمهور المفتى به ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فقد ظهر مما أمليناه ، أن مذهب الامام الشافعي ، و كذا مالك ، عدم وصول ثواب قراءة القرآن للأموات ، إذا كان بلا أجرة . وأما إن كان بأجرة ، فلا يصل باتفاق الأئمة ، وهذا يعرفه من تحلّى بحلية الانصاف ، وطرح رداء العناد والاعتساف ، فمن ادعى من الشافعية ، أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الأموات ، فهو بين أمرين ، إما معاند ، أو جاهل بمذهبه ، وقد قامت عليه الحجة من مذهبه بما ذكرناه .

وهاهنا فوائد ينبغي ذكرها ، ويهمّ طالبَ العلم معرفتُها الأولى في بيع المصاحف وأخذ الأجرة على كتابتها .

قال الامام البغوي في « شرح السنة » : اختلف أهل العلم في بيع المصاحف ، قال ابن عمر : بئس التجارة بيع المصاحف ، وكتابتها بالأجرة . ويروى عنه أنه كان يقول : وددت أن الأيدي تقطع في بيع المصاحف ، وكره بيعها وشراءها ، علقمة ، وشريح ، وابن سيرين ، والنخعي . وكرهت طائفة بيعها ، ورخصوا في شرائها .

وروي ذلك عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير ، والحكم .

وقال الامام أحمد بن حنبل : الأمر في شرائها أهونٌ ، وما أعلم في البيع رخصة ، ورخص أكثر الفقهاء في بيعها وشرائها ، وهو قول الحسن ، والشعبي ، وعكرمة ، واليه ذهب سفيان الثوري ، ومالك ، والشافعي ، وأصحاب الرأي . انتهى .

وقال في « الاقناع » و « شرحه » : ويحرم بيع مصحف ولو في دين ، ولا يصح لكافر ، وتبعه في « المنتهى » . ومقتضاه صحته للمسلم مع الحرمة . وكذا إجارته ، ورهنه ، فيحرمان ، ولا يصحان ، ويلزمه بذله لمن احتاج إلى القراءة فيه ولم يجد مصحفاً غيره ، ولا تجوز القراءة فيه بلا إذن مالكه ، ولا يكره شراؤه ، ولا إبداله بمصحف آخر ، ويجوز نسخه بأجرة ، ولا يقطع سارق بسرقته ، أي : المصحف ، لأنه لا يباع .

الثانية : اختلف العلماء في الأجرة على تعليم القرآن . قال في « شرح السنة » : ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن أخذ الأجرة على تعليم القرآن غير مباح ، وهو قول الزهري ، وأبي حنيفة ، وإسحاق .

وذهب قوم إلى أنه لا بأس بأخذ المال مالم يشرط ، وهو قول الحسن ، وابن سيرين ، والشعبي .

وقال بعض أهل العلم : أخذ الأجرة على تعليم القرآن له حالان ، فاذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به ، حلّ له أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، لأنه غير متعيّن عليه . وإن كان في حال ، أو موضع لا يقوم به غيره ، لم يحلّ له أخذ الأجرة عليه . وتأوّل على هذا اختلاف الأخبار فيه .

وقال الامام ابن رشد المالكي في « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » : وأما الاستئجار على تعليم القرآن ، فقد اختلفوا فيه أيضاً ، فقد كرهه قوم ، وأجازه آخرون . والذين أباحوه ، قاسوه على سائر الأفعال ، وذكر حديثين في الرقية دليلاً لهذا القول ،

ثم قال: وأما الذين كرهوا الجُعْل على تعليم القرآن ، فقالوا : هو من باب الجعل على تعليم الصلاة ، قالوا : ولم يكن الجعل المذكور في الإجارة على تعليم القرآن ، وإنما كان على الرقى ، وسواء كانت الرقى بالقرآن أو غيره ، فالاستئجار عليه عندنا جائز ، كالعِلاجات ، قالوا : وليس واجباً على الناس . وأما تعليم القرآن فهو واجب الناس .

وقال الشعراني في « الميزان » : ومن ذلك قول أبي حنيفة ، وأحمد ، أنه لا يصح الاستئجار على القرب الشرعية ، كالحج ، وتعليم القرآن ، والإمامة ، والأذان ، مع قول مالك ، والشافعي ، أنه يجوز ذلك في الإمامة بمفردها .

وقال الامام ابن القيم في « أعلام الموقعين » في فتاوى النبي ﷺ : وسأله ﷺ عبادة بن الصامت ، وذكر حديث القوس الذي ذكرناه . ثم قال : ولا ينافي هذا قوله « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » في قصة الرقية ، لأن تلك جعالة على

الطب ، فطبه بالقرآن ، فأخذ الأجرة على الطب ، لا على تعليم القرآن ، وهاهنا منعه من أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، فان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه : (قل لا أسألكم عليه أجْراً) الأنعام : ٩٠

وقال تعالى : (قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم) سبأ : ٤٧

وقال سبحانه وتعالى : (اتَّبِعوا منْ لا يسألكم أجْراً) يس : ٢١

فلا يجوز أخذ الأجرة على تبليغ الاسلام والقرآن . انتهى .

فتأمل الفرق بين حديث عبادة ، وحديث ابن عباس ، يظهرْ لك ما صرح به الامام ابن القيم ، من أن حديث عبادة دالٌ على تحريم الأجرة على تعليم القرآن ، وحديث ابن عباس دالٌ على جواز الأجرة والجعل على الطب بالقرآن . وهذا لا خلاف فيه بين أكثر العلماء ، كما أنه لم يرخص أحد من العلماء في جواز الأجرة على تلاوة القرآن ، كما ذكره شيخ الاسلام في الفتاوى .

والثالثة في كراهة القراءة عند القبر . قال في « الاختيارات » ونقل الجماعة عن أحمد كراهة القرآن على القبور ، وهو قول

جمهور السلف . واتخاذ المصاحف عند القبر بدعة ولو للقراءة ، ولو نفع الميت ، لفعله السلف ، ولم يقل أحد من الأئمة المعتبرين ، إن الميت يؤجر على استماعه للقرآن . ومن قال : إنه ينتفع بسماعه دون ما إذا بعد ، فقوله باطل يخالف الاجماع . والقراءة على الميت بعد موته بدعة ، بخلاف القراءة على المحتضر ، فانها تستحب بـ (يس) . انتهى ملخصاً .

الرابعة : في كيفية إهداء ثواب الأعمال الصالحات إلى الأحياء والأموات من المسلمين . قال في « الاقناع » و « شرحه » : ويستحب إهداء ذلك ، فيقول : اللهم اجعل ثواب كذا لفلان ، وذكر القاضي أنه يقول : اللهم إن كنت أثبتني على هذا ، فاجعله أو ما تشاء منه لفلان . وقال ابن تميم : والأولى أن يسأل الأجر من الله تعالى ، ثم يجعله له ، أي : للمهدى له ، فيقول : اللهم أثبني برحمتك على ذلك ، واجعل ثوابه لفلان ، وللمهدي ثواب الاهداء . و قال بعض العلماء : يثاب كل من المهدي والمهدى له ، وفضل الله واسع .

الخامسة : قال الامام النووي في « التبيان » والامام العلامة ابن مفلح في « الآداب » وغيرهما : أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العظيم على الاطلاق ، وتنزيهه وصيانته .

قلت : وقد خالف في ذلك جماعات من الجهال ، فقرؤوا القرآن من غير تعظيم ولا احترام ، فيسمع من يمرُّ بهم اللغط ، والكلام البذيء ، والمنكرات ، وقول الزور ، وهم بهذا الفعل آثمون ، لأنهم خالفوا إجماع المسلمين ، بل خالفوا أمر رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف : ٢٠٤ ،

قال الامام القاضي عياض : اعلم أن من استخف بالقرآن ، أو بالصحف ، أو بشيء منه ، أو جحد حرفاً منه ، أو كذب بشيءٍ مما صرح به فيه ، من حكم ، أو خبر ، أو أثبت ما نفاه ، أو نفى ما أثبته ، وهو عالم بذلك ، أو شكّ في شي من ذلك ، فهو كافر باجماع المسلمين .

قال : وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلوّ في جميع الأقطار ، المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين ، مما جمعه الدفّتان من أول (الحمد لله رب العالمين) إلى آخر (قل أعوذ برب الناس) كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وأن جميع ما فيه حق ، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك ، أو بدّله بحرف آخر مكانه ، أو زاد فيه حرفاً لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع ، وأجمع عليه أنه ليس بقرآن ، عامداً لكل هذا ، فهو كافر .

قلت : فياويل من بدّل كلمة (استوى) هذه الكلمة العظيمة بكلمة (استولى) تلك المرذولة الساقطة .

السادسة : في مذهب السلف في كلام الرب سبحانه وتعالى . قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والصواب في هذا الباب وغيره ، مذهب السلف وأئمتها ، أنه سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأن كلماته لا نهاية لها ، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى ،

وقد ناداه حين أتى ، لم يناده قبل ذلك ، وأن صوت الرب عز وجل لا يماثل أصوات العباد ، كما أن علمه لا يماثل علمهم ، وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وأنه سبحانه وتعالى بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

وأن أقوال أهل التعطيل والاتحاد الذين عطّلوا الذات أو الصفات ، أو الكلام أو الأفعال ، باطلة .

وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات ، أو الصفات باطلة . انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه .

السابعة : قال في « الاقناع » : ويستحب حفظ القرآن إجماعاً ، وحفظه فرض كفاية إجماعاً .

ويسن ختمه في كل اسبوع ، ويكره تأخير الختم فوق أربعين يوماً بلا عذر .

ويحرم إن خاف نسيانه ، ويختم في الشتاء أول الليل ، وفي الصيف أول النهار ، ويجمع أهله وولده عند ختمه ، ويدعو نصاً .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على على أشرف المخلوقات ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان ، السالكين مسلك ذوي السعادات .

وهذا آخر الجواب ، والله وليُّ التوفيق والصواب . وقد تحرّيت فيه العدل والانصاف ، مع أني على يقين أنه سيغيظ عبيد الدرهم والدينار الدجاجلة الآكلين أموال الناس بالباطل .

وإذا قلت الحق ، وأدّيت الجواب ، فلا أُبالي بالمدح والقدح .

إذا صحّ منك الود ياغاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

وما أحسن ما قيل :

وإن رغمت أنوف من أناس فقل يا رب لا ترغم سواها

ويجب على كل مسلم التأدب بتأديب الله ، والامتثال لأوامر الله. قال الله تعالى: (فبشّر عبادِ . الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) الزمر: ١٧، ١٨

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

﴿انتهت الرسالة الثانية بحمد الله تعالى﴾

★ ★ ★

الرسالة الثالثة

الأجوبة الحميدة
على
الأسئلة المفيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بصفات الكمال ، المنعوت بنعوت العظمة والجلال ، الذي علا فوق مخلوقاته ، وتنزه عن سمات المحدثات ، فلا تشبه ذات بذاته .

والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي عرج به الى ربه ، فنال الكمال بدنوه من الله وقربه ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين أيد الله بنصرهم قواعد الدين .

أما بعد فهذه كلمات مختصرة ، تشتمل على حل الأسئلة التي أوردها الامام الشيخ عبد الرحمن بن حسن قدس الله سره في بعض مؤلفاته المفيدة ، جزاه الله عن الاسلام والمسلمين أحسن الجزاء ، طلبها مني بعض الاخوان العارفين ، ولعلمي بحسن

نيته ، ومحبته للعلم ، والفقه في الدين ، كتبت هذه الكلمات التي سميتها .

« الاجوبة الحميدة عن الأسئلة المفيدة » .

ومن الله وحده أستمد التوفيق والسداد ، اذ عليه التوكل والاعتماد .

وقبل الاخذ في الجواب ، نذكر عبارة المصنف مجملة ثم نعود الى حلها تفصيلاً .

قال عليه الرحمة : ما معنى كلمة الاخلاص « لااله الا الله » ؟ وما الا لهية المنفية بـ « لا » النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟ وما معنى الا لهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه ؟ وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه ؟ وما معنى الاخلاص الذي أمر الله به عباده وأخبره أنه له وحده ؟ وما تعريف العبادة التي خلقوا لها ؟ وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحداً جهله ؟ وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه ؟ انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فأما قوله : ما معنى كلمة الاخلاص « لااله الا الله » ؟

فأقول: إن كلمة الاخلاص « لااله الا الله » هي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي في الدنيا لمن قالها من السيف جُنَّة ، وفي الآخرة لمن عمل بمقتضاها مفتاح الجنة .

وفي « مسند البزار » عن عياض الأنصاري ، عن النبي ﷺ أنه قال « إن لااله الا الله كلمة على الله كريمة ، لها عند الله مكان ، وهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة ، ومن قالها كاذباً حقنت ماله ودمه ، ولقي الله غداً فحاسبه » .

قال شيخ الاسلام : اتفقت الأمة على أن أصل الاسلام ، وأول ما يؤمر به الخلق ، شهادة ان لااله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فبذلك يصير الكافر مسلماً ، والعدو ولياً ، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال . ثم إن كان ذلك من قلبه ، فقد دخل في الايمان ، وإن قاله بلسانه دون قلبه ، فهو في ظاهر الاسلام دون باطن الايمان . انتهى .

وهذه الكلمة الطيبة دالَّة بمنطوقها وموضوعها على نفي

استحقاق الالهية عن غيره تعالى ، والبراءة من كل معبود سواه ، واثبات استحقاق الالهية على وجه الكمال لله تعالى ، فالنفي يستفاد من « لا » واسمها وخبرها المقدر ، والاثبات يستفاد من الاستثناء ، لأن الاثبات بعد النفي المتقدم أبلغ من الاثبات بدونه ، وهذه طريقة القرآن ، يقرن بين النفي والاثبات غالباً ، كما في هذا الموضع ، لأن المقصود لا يحصل إلا بهما . قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم) البقرة : ٢٥٦ وقال تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدو الا اياه) الاسراء : ٢٣ قال ابن القيم : وطريقة القرآن في مثل هذا ، أن يقرن بين النفي والاثبات ، فينفي عبادة ما سوى الله ، ويثبت عبادته ، وهذا هو حقيقة التوحيد ، والنفي المحض ليس بتوحيد ، و كذلك الاثبات بدون النفي ، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والاثبات ، وهذا حقيقة « لااله الا الله » .

إذا تقرر هذا ، فمعنى « لااله الا الله » أي لا معبود حق الا الله ،

فتضمنت نفي استحقاق الالهية عما سوى الله ، واثباتها له جل وعلا ، و « لا » نافيـة للجنس « وإله » اسمها مبني على الفتـح في محل نصب ، وخبرها مقدر ، تقديره : حق ، وهو مرفوع بالضمة الظاهرة ، و « الا » حرف استثناء ، والاسم الـكريم مستثنى ، وهو مرفوع بالضمة الظاهرة، لأنه بدل من الخبر عند البصريين ، وعطف نسق عند الـكوفيين ، و« لااله الا الله » لها شروط سبعة ، ذكرها السائل في « شرح التوحيد » . أحدها : العلم المنافي للجهل. الثاني : المنافي للشك. الثالث : القبول المنافي للرد . الرابع: الانقياد المنافي للترك . الخامس : الاخلاص المنـافي للشرك . السادس : الصدق المنافي للـكذب . السابع المحبة المنافية لضدها .

وأما قوله : ما الالهية المنفية بـ «لا» النافية للجنس ؟

فأقول : هي العبادة بحق ، فمن صرف شيئـاً من أنواع العبادة لغير الله ، فقد اتخذه الهاً ، وعبده من دون الله ، والمخلوق لا يستحق شيئاً من ذلك ، كما قال تعالى : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ .

وقال تعالى : (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) الحج : ٦٢ فتضمن هذا نفي الالهية التي هي العبادة بحق عما سوى الله ، وإثباتها لمستحقها وهو الله سبحانه وتعالى ، فظهر بطلان عبادة الأموات ، والأشجار ، والأحجار ، والاستغاثة بغير الله الذي لا يملك الضر والنفع أحد سواه .

وأما قوله : وما خبرها ؟

فأقول : قد سبق منا تقديره بقولنا : حق ، لا كما قدره الجاهلون ، بمعنى « لا إله إلا الله » بقولهم : ممكن ، أو موجود ، فان هـذا غلط فاحش ، لأن معناه أنه لا يوجد ولا يمكن وجود إله آخر ، وهذا جهل عظيم بمعنى هذه الكلمة الطيبة ، فالنزاع بين الرسل وقومهم في كون آلهتهم حقاً أو باطلا كما هو ظاهر لمن تدبر القرآن .

وأما قوله : وما معنى الالهية التي ثبتت لله وحده دون سواه؟

فأقول : قد علم مما قدمنا جواب هذا السؤال ، فان معنى الالهية : العبادة ، ولا يستحقها إلا الله وحده ، لا مَلَك مقرب ، ولا نبي مرسل .

ورحم الله الامام ابن القيم حيث قال :

وهو الاله الحق لا معبود إلا وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كلُّ معبودٍ سواه فباطلٌ من عرشه حتى الحضيض الداني

وأما قوله : وما أنواع التوحيد؟

فأقول : أما التوحيد ، فهو إفراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته ذاتاً ، وصفاتٍ ، وأفعالاً ، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجهٍ ، ولا تشبه صفاته الصفات ، ولا تنفك عن الذات ، ولا تدخل أفعاله الاشتراك ، فهو الخالق دون من سواه .

وأما أنواعه ، فنوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد .

فالأول : توحيد الربوبية ، وهو إثبات حقيقة ذات الرب ، وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله ، وتكلُّمه بكتبه ، وتكليمه لمن شاء من عباده .

وأما الثاني ، فهو توحيد الالهية والعبادة ، وقد أرسل الله

الرسل ، وأنزل الكتب ، لتقرير النوع الأول ، ودعوة المشركين إلى الثاني .

وأما قوله : وألقابه

فأقول : ألقاب التوحيد ثلاثة . أحدها : توحيد الالهية . وثانيها : توحيد الربوبية . وثالثها : توحيد الأسماء ، والصفات.

فتوحيد الالهية : إفراد الله بالعبادة ، وتوحيد الربوبية : اعتقاد أن لا خالق ، ولا رازق ، ولا نافع ، ولا ضار ، ولا مدبر لأمر من الأمور إلا الله . وتوحيد الأسماء والصفات ، أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ نفياً وإثباتاً .

وأما قوله : وأركانه

فأقول : أركان التوحيد اثنان ، وهما الصدق ، والاخلاص . وحقيقة الصدق : بذل الجدّ والاجتهاد في تجريد التوحيد ، والمتابعة لما ورد في كتاب الله العزيز ، وما صح عن نبيه ﷺ ، فيجتهد المريد نجاته في تصحيح الأعمال ، والأقوال ، والاعتقادات ،

وأن تكون موافقةً لما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ ، ولا يتعبد بالبدع والضلالات ، وما تهواه نفسه ، كحال من استحوذ عليهم الشيطان ، فعبدوا الأموات ، وأنكروا الصفات ، وحرَّفوا كتاب الله أشدَّ من تحريف اليهود والنصارى للتوراة والانجيل.

وما أحسن ما قاله بعض الأئمة : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران : أحدهما : عبادة الله وحده . والثاني : أن لا يعبد إلا بما شرع .

ولما ذكر العلامة الامام ابن القيم في « النونية » [1] التوحيد الذي خلق الله لأجله عباده: الذي هو مدلول « لا إله إلا الله » قال مبيناً لركنيه :

والصدق والاخلاص ركنا ذلك التـ

ـوحيد كالركنين للبنيان

---

(١) وقد طبعها المكتب الاسلامي مع شرحها للشيخ أحمد بن عيسى المسمى بـ « توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » سنة ١٣٨٢ هـ

ثم عرَّف رحمه الله الركنين بقوله :

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا د فلا يزاحمه مراد ثان

والصدق توحيد الارادة وهو بذ ـ

ل الجهد لا كسلاً ولا متوان

فتبين من هذا معنى الصدق .

وأما الاخلاص فيتضح مما يأتي بعد هذا .

وأما قوله : ما معنى الاخلاص الذي أمر الله به عباده ، وأخبر أنه له وحده ؟

فأقول : الاخلاص عبارة عن النية الخالصة ، وتجريدها عن شوائب الرياء ، فيأتي العامل بأعمال الطاعة لوجه الله تعالى مخلصاً له ، ولا يريد بذلك رياءً ولا سمعة ، وأن يقصد بقلبه رضى الله جلَّ جلالُهُ بالعبادة .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » ولهذا قال بعض العارفين : إنما تتفاضلون

بالارادات ، ولم تتفاضلوا بالصوم والصلاة .

وقد كان السلف يجتهدون في إصلاح النية والارادة ، حتى قال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيتي ، لأنها تتقلب عليَّ .

وقال غيره : تعلَّموا النية ، فانها أبلغ من العمل ، وذلك أن قيام الدين إنما هو بالنية الصادقة ، والعمل بالسنة الثابتة ، فاذا انتفى أحدهما ، فالعبادة باطلة لانتفاء الاخلاص الذي أمر الله به عباده ، وأخبر أنه له وحده ، كما قال جلَّ وعلا (وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مُخلصينَ له الدين حُنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاةَ وذلك دين القيمة) البينة : ٥ وقد نبذ عباد الأموات كتاب الله وراء ظهورهم ، فأشركوا في عبادة الله من لا يستحق العبادة ، من الأشجار ، والأحجار ، والغائبين ، والأموات ، فدعوهم من دون الله ، ومع الله ، وأثبتوا لهم التصرف بعد الممات كحال الحياة ، بل اعتقدوا أن آلهتهم بعد الممات أكمل حالاً منهم قبله ، وهذا هو الشرك العظيم الذي ينافي التوحيد والاخلاص ،

وقد عم في غالب الأقطار ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وما أحسن قول الامام ابن القيم في « نونيته » :

فقيام دين الله بالاخلاص والـ إحسان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الإله وناره إلا الذي قامت به الأصلان

والناس بعدُ فمشرك بالهه أو ذوابتداع أوله الوصفان

والله لا يرضى بكثرة فعلنا لكن بأحسنه مع الايمان

فالعارفون مرادهم إحسانه والجاهلون عموا عن الاحسان

وأما قوله : وما تعريف العبادة التي خلقوا لها ؟

فأقول : العبادة لغة : الانقياد ، والخضوع ، والتذلل ، وأما شرعاً : فعرفت بتعاريف لا ينافي بعضها بعضاً ، كقولهم : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي . وعرفها جماعة : بأنها كمال الحب والخضوع المتضمن كمال الطاعة .

وقال شيخ الاسلام : العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال ، الباطنة والظاهرة ، مثل الصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ،

وبرّ الوالدين ، وصلة الارحام ، إلى غير ذلك من أنواع البر والطاعة التي أمر الله بها ، فعبادة الله : طاعته بفعل المأمور ، وترك المحظور ، وذلك هو حقيقة دين الاسلام الذي خلق الله العباد لأجله ، كما قال تعالى (وما خلقتُ الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات : ٥٦ .

وقد عكس عباد الأموات القضية ، فأسلموا وجوههم لغير الله ، وصرفوا العبادة لمن لا يستحقها من الأوثان ، وتقربوا إلى الله بما يكون سبباً لمقتهم وبغضهم وطردهم من رحمة الله .

قال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) المائدة : ٧٢ .

وأما قوله : وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحداً جهله ؟

فأقول : إن العلم النافع في الدنيا والآخرة : هو علم الكتاب والسنة ، وما سواه ، فاما أن يكون علماً ، فلا يكون نافعاً ، وإما أن لا يكون علماً وإن سمّي به ، ولئن كان علماً نافعاً ، فلا بد أن يكون في ميراث النبي ﷺ ما يغني عنه مما هو مثله ، أو خير منه .

ولله درُّ القائل حيث يقول :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً حذراً من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي منيت به
من فرقة التعطيل والتمويه

ولبعض العلماء رحمهم الله تعالى :

ومن لا يربيه الرسول ويسقه لباناً له قد درَّ من ثدي قدسه
فذاك لقيط ماله نسب الولا ولا يتعدى طور أبناء جنسه

فالعلم النافع : هو ما جاء في كتاب الله تعالى، وما صح في سنة رسول الله ﷺ ، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى بصفاته ، وما أمر به عباده ، وما نهاهم عنه ، وما يترتب على ذلك من الجزاء في الدار الآخرة ، وهذه هي أقسام العلم النافع ، كما قال ابن القيم في « النونية » :

والعلم أقسام ثلاث مالها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه

وجزاؤه يوم المعاد الثاني

والكل في القرآن والسنن التي

جاءت عن المبعوث بالفرقان

واللهما قال امرؤٌ متحذلق بسواهما إلا من الهذيان

فيجب على كل مكلف وجوباً عينياً الإيمان بجميع كتب الله ، فيعتقد أن الله واحد ، أحد ، فرد ، صمد ، وأنه المستحق للعبادة دون من سواه ؛ كما قال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) محمد : ١٩ وأنه متصف بجميع ما وصف به نفسه في كتابه ، وما وصفه به رسوله ﷺ ، مثل الكلام بصوت ، وحرف يليقان بعظمته تعالى ، وأنه يتكلم بمشيئته وإرادته ، يتكلم بشيء بعد شيء ، وأنه مستوٍ على عرشه ، بائن من خلقه ، وأن له وجهاً ، ويدين ، وعينين ، وقدماً ، وساقاً ، وصورة ، وسمعاً ، وبصراً ، وعلماً ، وإرادة ، وقدرة ، ومشيئة ، وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، وأن ذاته لا تشبه الذوات

وصفاته لا تشبه الصفات ، كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ .

وكذلك يجب على كل مكلف الإيمان بملائكة الله ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله .

وكذا يجب على المكلف امتثال ما أمر الله به في كتابه ، وما أمر به رسوله ﷺ ، من الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب أهل السنة والجماعة بأدلته الشرعية .

وقال في « شرح الاقناع » قال الامام أحمد رحمه الله : ويجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه . قيل له : فكل العلم يقوم به الدين ؟ قال : الفرض الذي عليه في نفسه لابد له من طلبه . قيل له ، مثل أيّ شيءٍ ؟ قال : الذي لا يسعه جهله ، صلاته ، وصيامه ، ونحو ذلك .

وكذلك يجب على المكلف اجتناب ما نهى الله عنه على

لسان رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا هو العلم النافع الذي لا يسع أحداً جهله .

وللعلم ست مراتب ذكرها الامام الحافظ ابن القيم في « مفتاح السعادة » أولها : حسن السؤال . الثاني : حسن الانصات والاستماع . الثالث : حسن الفهم . الرابع : الحفظ . الخامس: التعليم . السادس : ثمرته وهي العمل به ومراعاة حدوده .

وأما قوله : مامعنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟.

فأقول : معناه : ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، كما نقله المفسرون عن ابن عباس ، وأصله : الإله ، حذفت الهمزة وأُدغمت اللام في اللام ، فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة ، كما قاله علماء اللغة . والإله : وضع لكل معبود حقاً كان أو باطلاً ، لأنه مشتق من الإلهة ، بمعنى العبادة .

قال في « القاموس » : أله يأله إلاهة وألوهية : عبد يعبد

عبادة ، وكل من عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً .انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : الإله : هو الذي تألهه القلوب محبة ، وذلاً ، وإنابة ، وتعظيماً ، وتوكلاً ، وخوفاً ، ورجاءً ، وكذا قال ابن القيم ، والحافظ ابن رجب ، وغيرهما من أهل العلم .

وبعد التعريف والتفخيم صار علماً على ربنا جل وعلا .

قال سيبويه : هو أعرف المعارف . قال تعالى متمدّحاً بذلك : (هل تعلم له سميّا) مريم : ٦٥ .

فقد تبين معنى الإله ، وأنه المألوه المعبود ، فما بال عباد الأموات لا يتعظون ويعتبرون ويخصون بالعبادة الحي القيّوم ؟! فوالله ما عرفوا الله ، ولا علموا معنى اسم الله إلا من عاند منهم، وألحد ،وأكثرهم قد تمسّك بما عليه أسلافهم القائلون : (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) الزمر : ٣ وهؤلاء نواب إبليس في الأرض الذين أضلوا عباد الله ، فأفسد فطرهم ، وحملوهم على أن عبدوا غير الله ، وكذبوا كتابه ، ورسوله ، فانكروا الصفات،

وعبدوا الأموات ، وارتكبوا الموبقات . قال تعالى :(إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) الأعراف : ٣٠

وأما قوله : وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه ؟

فأقول : اختلف العلماء في هذا الاسم العظيم : هل هو مشتق ، أو مرتجل للحق جل جلاله. والذي عليه المحققون أنه مشتق ، واختاره الإمام ابن القيم .

قال رحمه الله تعالى : والذين قالوا باشتقاقه إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى ، وهي الالهية كسائر أسمائه الحسنى ، كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير ، ونحو ذلك ، فان هذه الاسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب ، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من الأصل . وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعاً ، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر ، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة . انتهى .

فصفة اشتقاقه من المصدر ، دلالته على مادل عليه من الصفة

الثابتة لله وحده لاشريك له ، والحمد لله رب العالمين .

وقد تم جواب هذا المفيد على يد مؤلفه محمد بن عبد العزيز المانع في ضحوة يوم الجمعة الموافق ستة عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٣٦ هـ والله أعلم .

﴿ انتهت الرسالة الثالثة بحمد الله تعالى ﴾

★ ★ ★